

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٦)	ربيع الآخر ١٤٣٥هـ
العدد الثاني	فبراير ٢٠١٤ م

المشـرف العام

عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صــوت الأمـة: بی ١ / ١٨ جی، ريوری تـالاب، بنـارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تـرسـل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم:	دار التاليف والترجمة Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

محتويات العدد

الافتتاحية

المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله
مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
حياته وأعماله

(١١) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

والناظر في هذا الكتاب يجد أنه – وبلا شك – موسوعة كاملة في بابه، فقد استوعب الشارح رحمه الله جميع الجوانب المتعلقة بالحديث المشروح بالكلام والتعليق، من ترجمة الراوي وشرح المفردات، والاستنباط الفقهي، والتخريج، وبيان علل الحديث، والتعقيب على المؤلف، والرد على التأويلات الواهية للأحاديث، وما إلى ذلك، والشارح التزم بمنهج السلف في شرحه هذا وتمسك به وعض عليه بالنواجذ، ودافع عنه.

وأورد فيما يلي بعض الخصائص والميزات التي يمتاز بها هذا الشرح، وقد ذكرها نجل الشارح الشيخ عبد الرحمن بن عبيد الله المباركفوري حفظه الله في مقدمة الجزء الأول من الكتاب:

١ – وضع المؤلف – طال بقاؤه – أرقاما مسلسلة لأحاديث الكتاب ليكون حصرا صحيحا لأحاديثه، ولأن عد الأحاديث بالأرقام المسلسلة خير الطرق لنشر كتب الحديث وشروحها في هذا العصر، ولتكون هذه الأرقام المسلسلة كالأعلام للحديث، ثم وضع بجنبها أرقاما مسلسلة لأحاديث كل باب علي حدة وجعلها بين القوسين (   ) ليمتاز عن الرقم المسلسل لأحاديث الكتاب. ولا يخفى فائدة هذا العمل على القارئ والباحث.

٢ – وضع أربعة فهارس: أحدها فهرس الكتب والأبواب والفصول حسب ما وقع في المشكاة. وثانيها فهرس الأحاديث مع أبوابها وفصولها مع أرقامها المسلسلة وبعض

أبحاث الشرح المهمة. ثالثها فهرس الأعلام للصحابة والتابعين وغيرهم من لهم ذكر أو رواية في كتاب المشكاة، وللأئمة أصحاب الأصول المذكورين في أول المشكاة. رابعها فهرس للأماكن التي ورد ذكرها في متن الحديث مرتبا على حروف المعجم.

٣ – كتب ترجمة كل علم من الصحابة والتابعين وغيرهم بقدر الحاجة في أول موضع ذكر فيه من المشكاة، وكذا وصف كل مكان في أول موضع وقع فيه.

٤ – أوفى القول في توضيح الأحاديث وتشريحها وذكر من معاني الأحاديث المشتملة على مسائل الفقه والكلام ما هو الصحيح الراجح المعول عليه عند السلف الصالح من الصحابة والتابعين وفقهاء المحدثين رضي الله عنهم، وكثيرا ما أطنب الكلام في الرد على التأويلات الواهية المزخرفة التي اخترعها أهل الهوى من المبتدعين والمقلدين الجامدين المتعصبين لصوغ الأحاديث النبوية على مسالكهم الزائغة وأهوائهم الباطلة.

٥ – أجاب بأحسن وجه عن المطاعن التي يوردها المقلدون على مسالك فقهاء أهل الحديث في شروحهم وحواشيهم وتعليقاتهم على كتب الحديث.

٦ – ذكر اختلاف الفقهاء، وأقوالهم في مسائل الاختلاف مع سرد حجج هذه الأقوال، ثم عين القول الراجح المعول عليه عنده، وأيده بالأحاديث والآثار وأجاب عن دلائل الأقوال المرجوحة بوجوه متعددة.

٧ – اعتنى بحل الإشكالات ودفع المعارضات عناية تامة.

٨ – أشار عند البحث في بعض المسائل إلى مظانها من الكتب المطولة من شرح الحديث والفقه الجامع والسنن والمسانيد والجوامع والمعاجم والرجال مع أرقام الصفحات لكي يسهل الرجوع إليها لمن يريد التوسع في الكلام. وصنع هذا حيث رأى أنه لو بسط القول فيه على الوجه الذي أراد أفضى ذلك إلى التطويل الذي لا يحتمل، والإطناب الذي يوقع في الضجر والملل.

٩ – التزم تخريج ما أورده المؤلف في الفصل الأول والثالث من أحاديث الصحيحين أو أحدهما إن اشترك فيها الغير من أصحاب السنن والمسانيد والمعاجم.

والتزم أيضا أن يخرج أحاديث الفصل الثاني والثالث من روايات غير الشيخين إن رواها غير من سماه المؤلف، واستدرك أيضا ما وقع من المؤلف من ترك البياض بعد ذكر الحديث دون عزوه لأحد، فبين الشارح من أخرجه.

١٠ – وفي كثير من مثل هذا يذكر تلك الكتب بقيد الباب والصفحة.

١١ – التزم الكلام على أحاديث غير الصحيحين وانتقادها حسب ما تيسر وسنح له وبين درجتها من الصحة أو الضعف معتمدا في كل ذلك على كلمات أئمة هذا الفن الجليل الشأن.

١٢ – أشار إلى ما وقع للمؤلف من الأوهام والأخطاء في سوق ألفاظ الحديث. وفي وضع حديث الصحيحين أو أحدهما في الفصل الثاني وحديث غيرهما في الفصل الأول، وفي تخريج بعض الأحاديث، وغير ذلك مما أخذه الشارح على المؤلف واستدركه عليه، لا يخفى على من طالع الشرح بالإمعان [1].

١٣ – عني بذكر الأحاديث والآثار المؤيدة لأحاديث غير الصحيحين مع بيان درجتها من الصحة أو الضعف، وربما أشار إليها بقوله: وفي الباب عن فلان عند فلان، وعن فلان عند فلان.

١٤ – سرد الحديث بتمامه إن ذكره المؤلف مختصرا.

هذا، وغير ذلك من المحاسن التي تظهر لمن يطالع الكتاب بإمعان النظر، والله الموفق. [2]

وأذكر في السطور التالية بعض الخصائص والميزات الأخرى لهذا الشرح مستعينا بما كتبه فحول العلماء في هذا الخصوص:

---

[1] ومن أمثلة ذلك أنه لما قال المصنف بعد ذكر أثر وهب بن منبه: "رواه البخاري في ترجمة باب" قال الشارح بعد ذكر موضع الأثر من البخاري: "وقول المصنف: "رواه البخاري" سهو منه، فإنه لم يروه البخاري في صحيحه، لا في ترجمة باب ولا في غيرها، بل ذكره معلقا، ولا يقال في مثل هذا: "رواه" بل يقال: "ذكره" (انظر: مرعاة المفاتيح: ١ / ١١٥)

ولما قال المصنف في آخر الفصل الأول من باب الاعتصام بالكتاب والسنة: "سنذكر .... وحديثي معاوية وجابر ... في باب ثواب هذه الأمة إن شاء الله تعالى" قال الشارح: لكنه لم يف بما وعده، فلم يذكر هناك حديث جابر. (انظر المرعاة: ١ / ٢٥٦).

[2] مرعاة المفاتيح: ١ / ١١ – ١٢.

١ – أكبر ميزة لهذا الشرح هو أن الشارح رحمه الله رجل غير متمذهب بأحد من المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة. وإنما هو متبع للدليل من الكتاب والسنة. فهو في شرحه هذا يشرح النص الحديثي في ضوء الأدلة والبراهين من غير انحياز إلى هذا أو ذاك. وهو في الوقت نفسه يجعل الكتب الفقهية أمامه يراجع إليها ويستفيد منها، وينقل منها، ويثني على مؤلفيها، وقد يوافقها إذا كانت الأدلة تسمح بذلك. ولكنه لا يتردد في مخالفتها والرد عليها إذا انحرفت عن الأحاديث والأدلة الثابتة. فهو يدور مع الدليل حيثما دار.

وتتجلى أهمية هذه الميزة عندما نراجع شروح الحديث التي كان مؤلفوها منتسبين إلى مذهب من المذاهب الأربعة المعروفة، وخاصة إذا كانوا متعصبين لمذهبهم وإمامهم، ملتزمين بترجيح ما ذهب إليه إمامهم وفقههم، مهما كان مخالفا للأحاديث الثابتة المحكمة والأدلة الناصعة. وهذا الداء لم يسلم منه إلا النادر من الشراح المتمذهبين.

٢ – اكتفى مؤلف المشكاة بعزو حديث الفصل الأول إلى الصحيحين، فيأتي الشارح – صاحب المرعاة – فيضيف إلى هذين المصدرين كتب الحديث الأخرى التي روي فيها ذلك الحديث. ثم يذكر أن لفظ المصنف للحديث إنما هو لفلان، وقد يقوم بمقابلة بين ألفاظ الحديث الواردة في الكتب المختلفة أيضا، فيقول مثلا في شرح حديث: "ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، يدعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم" (متفق عليه):

"أخرجه البخاري في التوحيد باللفظ الذي ذكره المصنف إلا أن فيه "سمعه" بصيغة الماضي مكان قوله "يسمعه" وأخرجه أيضا في الأدب، وأخرجه مسلم في باب الكفار [1] من كتاب صفة القيامة، وأخرجه النسائي في النعوت" [2].

---

[1] كذا في المرعاة: ١ / ٨٨، لكن الحديث المذكور إنما هو في باب "لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل" من صحيح مسلم، رقم الحديث: (٢٨٠٤) ولم أجد هناك بابا بهذا العنوان الذي ذكره الشارح رحمه الله.

[2] مرعاة المفاتيح: ١ / ٨٨.

٣ – يقوم الشارح بضبط الكلمات التي تحتاج إلى ذلك. ففي حديث معاذ قال: "كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ... " يقول: "معاذ – بضم الميم ... " ثم يقول في شرح كلمة "ردف": الردف بكسر الراء وسكون الدال، والرديف الراكب خلف الراكب بإذنه، وردف كل شيء مؤخر ... "[(١)].

٤ – يقوم بتخريج أحاديث الفصل الثاني من المشكاة، ويذكر مواضعها في كتبها، فمثلا في شرح حديث: "هل يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم ..." رواه أحمد والترمذي وابن ماجه. فيقول الشارح: (رواه أحمد) في مسنده: ج: ٥، ص:٢٣١، (والترمذي) في الإيمان (وابن ماجه) في الفتن "ثم يضيف فيقول وأخرجه أيضا النسائي، كلهم من طريق معمر ... "[(٢)].

٥ – يبين الشارح أسباب ضعف الحديث وعلله عند ما يكتفي المحدث بقوله عن الحديث "ضعيف" مثلا. فلما اكتفى المصنف بعزو حديث إلى الترمذي، قال الشيخ: "قال الترمذي بعد إخراجه: هذا حديث منكر ... ويمكن أن يقال: إن الترمذي أراد بقوله منكر أنه غريب من حديث معاذ بن أنس، فقد تفرد بروايته عنه ابنه سهل، فهو غريب من جهة هذا الطريق. والمنكر يطلق على معنيين ...." ثم يقول بعد قليل: "ووقع في بعض نسخ الترمذي: "حديث حسن" بدل قوله "منكر" فليحرر. ثم يبين وجه تحسين الترمذي للحديث. وهذا يدل على سعة اطلاعه على كتب الحديث ونسخها وأوجه الفرق بين بعضها عن بعض.[(٣)]

(يتبع)

❖❖❖

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مرعاة المفاتيح: ١ / ١٠١.

(٣) راجع المصدر السابق: ١ / ١٠٢.

رجال صدقوا

الشعبي

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

واحد من علماء التابعين من أصل حِميري، يضرب المثل بحفظه، ولد في عام ١٩هـ في الكوفة ونشأ بها، وأخذ عن كثير من الصحابة بها، وبالبصرة، ومات بها عام ١٠٣هـ فجأة، إنه عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، اتصل بعبد الملك بن مروان في الشام، فكان نديمه ومسامره ورسوله إلى ملك الروم، وكان ضئيلا نحيلا، قيل إنه وُلد لسبعة أشهر، وعن حفظه قيل إنه سئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سواء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته ... يقول ابن خلّكان: هو من حمير من أقيال اليمن، وعداده في همدان كوفي تابعي، جليل القدر، وافر العلم، قال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام، ويقال إنه أدرك ٥٠٠ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان ذكيا نابها، له حكاية في وفادته على ملك الروم، رواها الشعبي نفسه فقال: أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أياما كثيرة، حتى استحثثت خروجي فلما أردت أن أنصرف، قال لي: من أهل بيت الملك أنت؟ فقلت: لا ولكنني رجل من العرب في الجملة، فهمس بشيء، فدفعت إلي رقعة، وقال لي: إذا أدّيت الرسائل إلى الملك – صاحبك – فأوصل إليه هذه الرقعة.

قال: فأديت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك، وأنسيت الرقعة، فلما صرت في بعض الدار، تذكرتها فرجعت فأوصلتها إليه، فلما قرأها قال لي: أقال لك شيئا قبل

أن يدفعها إليك؟ قلت: نعم قال لي: من أهل بيت الملك أنت؟ قلت: لا ، ولكني من العرب في الجملة ، ثم خرجت من هذه .. فلما بلغت الباب رُددت ، فلما مثلت بين يديه ، قال لي: أتدري ما في هذه الرقعة؟ قلت: لا ، قال: فقرأتها فإذا فيها: "عجبت من قوم فيها مثل هذا ، كيف ملكوا غيره، فقلت له: والله لو علمت ما حملتها ، ثم قلت له: وعندما قال هذا ، لأنه لم يرك يا أمير المؤمنين، قال عبد الملك: أفتدري لم كتبها؟ قال حسدني عليك وأراد أن يغريني بقتلك، قال الشعبي: فتأدى ذلك إلى ملك الروم. قال: ما أديت إلا ما قال.

وقد حرص عبد الملك أن يعطيه درسا ، في أسلوب المنادمة، وطريقة مجالسة الملوك، فإنه لما حمل الشعبي إلى عبد الملك بن مروان، ونادمه قال له: يا شعبي، لا تساعدني على قبح، ولا ترد علي الخطأ في مجلس، ولا تكلفني جواب التشميت ولا جواب السؤال والتعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير، وكيف أمسى، واجعل بدل التعريض لي صواب الاستماع مني، وأعلم أن صواب الاستماع، أولى من صواب القول، وإذا سمعتني أتحدث، فلا يفتك منه شيء، وأرعني فهمك وسمعك، ولا تجيد نفسك في تطرية سواي، ولا تستدع بذلك الزيادة، من كلامي، فإن أسوأ حالا منك من استخف بحقهم، وأعلم يا شعبي أن أقل من هذا ، يذهب بمسالف الإحسان، ويسقط حق الحرمة، وأن الصمت في موضعه، وعند إصابته فرصة.

وبذا استحق الشعبي مكانة عالية عند عبد الملك، ذلك أن نفسه، قد تربّت على مقارعة الرجال، وتوطنت على حسن الأدب، والصفح عمن أساء، فقد قال له رجل كلاما أقذع فيه، فرد عليه الشعبي، قائلا: إن كنت صادقا غفر الله لي، وإن كنت كاذبا غفر الله لك، ومن حسن أدبه، ما يقال: إنه كان يوما عند الحجاج، فقال له: كم عطاؤك، فقال: الفان. قال الحجاج: كيف لَحنت أولا ، قال: لحن الأمير فلحنت، فلما أعرب أعربت ولا يمكن أن يلحن الأمير، وأعرب أنا فاستحسن ذلك الحجاج وأجازه.

وكان رجل من الأعراب يجالس الشعبي، ويطيل الصمت، فقال له الشعبي يوما: ألا تتكلم؟ فقال: اسكت فأسلم، واسمع فاعلم، إن خطر المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره.

وعرف عن الشعبي التؤدة في الكلام، وحسن الحديث الذي يدخل القلوب، وينقشع به ما يعلو القلوب، في كراهية وحقد، فقد دخل الشعبي على عمرو بن هبيرة، أمير العراقين، في قوم حبسهم، ليطلقهم فأبى، فقال له الشعبي: أيها الأمير إن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم، وإن حبستهم بالحق فالعفو يسعهم ... فأطلقهم.

ولسطوة الحجاج وشدته وهيبته، قلما نجا منها إنسان خالفه في رأي، لكن الشعبي لما أحضر بين يدي الحجاج، وقد كان خرج مع ابن الأشعث ضده، فقد أعانه الله بحسن الجواب، وهدوء القلب، بأن ينجو من جبروت الحجاج، فقد سلم على الحجاج بالإمارة ثم قال: يا أيها الأمير! إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك، لغير ما يعلم الله أنه الحق، وأيم الله لا أقول في هذا المقام، إلا حقا، قد والله خرجنا عليك، وجهدنا كل الجهد فيما كنا نعمل، فما كنا بالفجرة الأقوياء، ولا البررة الأتقياء، وقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا، وما جرت إلينا أيدينا، وإن عفوت عنا فبعلمك، وبعد:

فالحجة لك علينا، فقال الحجاج: أنت والله أحب إليّ ممن يدخل عليّ، يقطر سيفه من دمائنا، ثم يقول: ما فعلت وما شهدت، قد آمنت عندنا يا شعبي فانصرف.

ولما حبا الله الشعبي من موهبة، وحسن حديث، فإن الكبار يستحسنون ذلك ويرغبون في منادمته، فقد بعثه عبد الملك في أمرة، رسولا إلى عبد العزيز بن مروان، بمصر ويقال: بل بلغ عبد العزيز بن مروان براعة الشبعي وعقله، وطيب مجالسته، فكتب إلى أخيه في أمره، إلى أخيه عبد الملك، يطلب أن يؤثره به ففعل، وكتب إليه

إني آثرتك بالشعبي على نفسي، فلا يلبث عندك إلا شهرا، أو نحو شهر، فأقام عند عبدالعزيز نحو أربعين يوما ثم رده إلى أخيه عبد الملك.

وكان الشعبي رحمه الله محبا لأهل السنة، ومبغضا للقدرية، والقائلين بالرأي، ولغيرهم من أهل البدع والأهواء.

يقول صالح بن مسلم لقيت الشعبي بالسيدة فمشيت معه حتى حاذينا أبواب المسجد، فنظر إليه فقال: الله يعلم، لقد بُغض إلى هؤلاء هذا المسجد، قلت: من يا أبا عمرو؟ قال: هؤلاء الرأييون أصحاب الرأي.

قيل: من في المسجد، قال: الحكم بن عتيبة ونظراؤه، ثم مضى فلقيه رجل فسأله عن الورع، فأبى أن يجيبه، فألحّ عليه فقال: يا عبد الله إنك إن علمت، ثم عملت كان أوجب عليك بالحجة، وإن عملت قبل أن تعلم كان أيسر عليك في الأمر.

قال: ثم مضينا نحو باب القصر، فلقيه رجل فقال: يا أبا عمرو ما تقول في الرجل يضرب مملوكه، فقال: بيده يقلبها، ما أدري، يوم يضرب الشعبي مملوكه، فهو مر يومئذ، وكان يقول: ما ضربت مملوكا لي قط، ولا أخذت له ضريبة.

وكان يقول: قل عند الشبهات، ولا تكن مرجئا، وقد كان رجل يخرج إلى السوق، في رغبة لقضاء حاجة، فيمر بالمسجد فيقول ذلك الرجل: أدخل فأصلي ركعتين، ثم أخرج فأقضى حاجتي، فيرى الشعبي يحدث، فيجلس إليه حتى تفوته حاجته، ويفترق من في السوق، فكان هذا يقول الشعبي: أي مبطل الحاجات، أي وكان من عادة الشعبي، إذا أراد القيام من مجلسه يقول: أشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأشهد أن الدين كما شرع الله، وأشهد أن الإسلام كما وصف، وأشهد أن الكتاب كما أنزل، وأن القرآن كما حدث، وأشهد أن الله هو الحق المبين، فإذا ذهب لينهض قال: أذكر أن محمدا منا بالسلام.

وقد ذكر المهتمون بأخبار الشعبي كثيرا من رواياته وأحاديثه، وفي كتب الأدب اهتموا بمقتطعات من نوادره ومزاحه، وكلماته الحكيمة، يقول ابن القيم: قال رجل للشعبي إن فلانا عالم، قال: ما رأيت من علمه؟ هل عليه بهاء العلم؟ قيل وما بهاء العلم؟ قال: السكينة إذا علم لا يعنف، وإذا علم لا يأنف.

وكان يقول: إنما يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان، العقل والنسك، فإن كان عاقلا ولم يكن ناسكا، قيل: هذا أمر لا يناله إلا النساك، فلم تطلبه؟ وإن كان ناسكا ولم يكن عاقلا، قيل: هذا أمر لا يطلبه الا العقلاء، فلم تطلبه؟ ثم قال الشعبي: فقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم، من ليس فيه واحدة منهما لا عقل ولا نسك.

وللشعبي نوادر، وممازحات كثيرة تروى عنه، وأجوبة حكيمة مسكتة، ومن ذلك قوله: ليس حسن الجوار أن تكف أذاك عن الجار، ولكن حسن الجوار أن تصبر على أذى الجار، ويقول: اتق الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين، فإنهما آفة كل مفتون، ودخل رجل إلى مسجد، ومع الشعبي امرأة، فقال: أيكم الشعبي فقال: هذه.

وجاء أناس ليسألوه عن رجل يريد التزوج من ابنتهم، فقال لهم: رزين المقعد، نافذ الطعنة، فزوجوه ثم علموا أنه خياط فقالوا للشعبي: غررتنا؟ قال: ما كذبتكم؟

ودخل الشعبي الحمام يوما، فرأى داود الأودي بلا مئزر، فغمض عينيه، فقال داود: متى عميت؟ يا أبا عمرو، قال: منذ هتك الله سترك، وقد دخل المقبرة، فكوّم كومة ثم اتكأ عليها، فمرّ به شيخ من أهل الحيرة عبادي، فقال له الشعبي، يا عبادي ما صنعتك؟ قال: رفّاء، قال عندنا دنّ مكسور ترفوه لنا؟ الدن الإناء من الفخار، قال: إن هيأت لي سلكا من رمل، رفيت لك دنا، فضحك الشعبي حتى استلقى، ثم قال لمرافقه: هذا أحب إلينا من مجلسة أهل الحديث. فرحم الله الشعبي، فقد مات فجأة ولم يمرض.

❖❖❖

تصحيح المفاهيم:

عيد الحب [الفالنتاين]

أصله شعائره حكمه

أبو الحجاج يوسف بن أحمد علاوي / الأردن

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي الأمين ، وعلى صحابته أجمعين.

أما بعد: فإن الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس ، وإن دينها هو الناسخ لجميع الأديان ؛ فلا يقبل من أحد بعد بعثة النبي ﷺ إلا الإسلام ، قال تعالى{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران٨٥].

وعن جابر ﷺ عن النبي ﷺ حين أتاه عمر ﷺ فقال : إنا نسمع أحاديث من اليهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال "أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة ، ولو كان موسى حياً ؛ ما وسعه إلا اتباعي".

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ، ولا نصراني ؛ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".

فهذه الآية وغيرها ، وتلكم الأحاديث وأشكالها ، تدل على أن الله لا يقبل من الإنسان إلا الإسلام ، وإلا فمصيره النار ، ومن قَبَول الإسلام عدم قَبَول من يأتي من أهل الكفر والإلحاد من عادات وعبادات تخالف ديننا ، وتدعو إلى الرذيلة، والانحلالية الأخلاقية ، و الابتعاد عن دينهم، بل وتدعو إلى التنصل من أخلاقنا العربية الأصيلة التي جاء الإسلام مثنياً عليها في كثير من المواضع. وقد أعلمنا رسول الله ﷺ أن في هذه الأمة من سيقلد الكفار تقليداً أعمى في الصغيرة والكبيرة، فقال بأبي هو

وأمي ونفسي:"لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ تبعتموهم" قلنا : اليهود والنصارى ؛ قال :"فمن".

وقال ﷺ أيضاً "ليأتينّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلاً بمثل ، حذو النعل بالنعل".

هذا؛ وقد وقع ما أخبر به وحذر منه نبينا ﷺ، فقد تبع كثير من أمتنا أعداء الله في عاداتهم وعباداتهم وسلوكياتهم، حتى إنك لا تستطيع التمييز بين المسلم وغيره إلا بأمور تعينك على ذلك ؛ وسبب هذا هو أن أمتنا - إلا من رحم الله - ما عادت تعتز بدينها التي ارتفعت به وبلغت عنان السماء، بل تنكبت كتاب ربها وسنة نبيها وسبيل المؤمنين - الذين ما سادوا الأمم إلا باعتزازهم بدينهم قولاً وفعلاً ، فحصل لها من الذل والهوان ما هو غني عن الوصف فإلى الله المشتكى.

وإن مما ابتلي به المسلمون - جراء تعلقهم بأذيال أعداء الله - ما يسمى باعيد الحب (الفالنتاين)! هذا العيد الذي انتشر خصوصاً بين الشباب المسلم من كلا الجنسين ، فتجدهم يهنئ بعضهم بعضاً ،ويتبادلون الهدايا والورود الحمراء ، وحتى أصحاب المحلات والمكتبات وغيرهم يتجهزون له كما يتجهزون لأي موسم ، ولهذا وجب على كل من كان عنده علم أن يبينه، ويحذر الناس خطر مشابهة الكفار، ليكون المسلم على بيّنة من أمره، وكذلك تكون له الشخصية المستقلة.

والبحث في هذا العيد يبدأ بأصله ، ثم شعائره عند أهله ، ثم حكمه من الناحية الشرعية.

أولاً أصله:

الناظر في كتب التاريخ يرى أن أصل هذا العيد مبني على عدة روايات ، مما يدل على اضطراب في أصله ، وأيضاً هذه الروايات إنما هي منقطعات لا تتصل بسند ؛فضلاً عن أن يكون رجالها ممن تتحقق فيهم العدالة ، فما هي إلا خرافات عوام ، وزبالات أفهام ، وانظر - يا رعاك الله - إلى بعض هذه الروايات بعين الفاحص الخبير ،

لترى مقدار عقول من اخترع هذه الروايات ، بل مدى تفاهة من يصدق بها ، فهاك بعض الروايات :

١. هذه الرواية تقول :إن قسيساً يدعى (فالنتاين) كان يعيش في القرن الثالث الميلادي تحت حكم إمبراطور وثني يدعى (كلاوديس الثاني) ، وفي [٢٧٠/٢/١٤م] أُعدِمَ هذا القسيس لأنه كان يدعو إلى النصرانية فصبر عليها ، فصار هذا اليوم تخليداً لذكراه.

٢. والرواية الثانية :وجد الإمبراطور قدرة المحاربين غير المتزوجين على الحرب أكبر من المتزوجين فمنعهم من الزواج ، إلا أن القسيس ظل يعقد الزيجات سراً ، فاكتشفوا أمره ، فسجن ، ثم تعرف إلى ابنة السجّان وهو في السجن ، وكانت مريضة ، فوقع في حبها ، وقبل إعدامه أرسل لها بطاقة (من المخلص فالنتاين).

٣. هذا العيد من أعياد الرومان الوثنيين ، وهو عندهم تعبير عن المفهوم الوثني للحب الإلهي ، وهو مبني على أساطير حتى عند الرومان أنفسهم ، ولهم فيه شعائر خاصة سنذكرها بعد .

٤. فالنتاين هذا هو أحد ضحايا تعذيب بعض الأباطرة ، فلما مات بنوا له كنيسة تخليداً له ، فلما اعتنق الرومان النصرانية أبقوا على احتفالهم بعيدهم السابق ، ولكنهم غيروا مفهومه الوثني من (الحب الإلهي) إلى مفهوم آخر يعبر عنه بـ (شهداء الحب) ممثلاً بالقسيس فالنتاين الداعية إلى الحب والسلام بزعمهم .

وسمي أيضاً بـ (عيد العشاق) واعتبر القسيس فالنتاين شفيع العشاق وراعيهم.

تنبيه : هذه أساطير وخرافات ينبغي ألا تؤثر على عاقل ، فضلاً عن مسلم مهتم بدينه ، ولا يغرنك كثرة الفاعلين له ، لأن الكثرة غالباً لا تعني الصحة ، ولو لم يكن في هذه الأعياد إلا مفسدة إهدار الأوقات ؛ لكفاها مفسدة ، كيف إذا انضم إليها ما سترى !!

ثانياً : شعائره:

إن من أعظم شعائر هذا اليوم ـ عند الرومان مؤسسيه ـ أن شبان القرية الواحدة يجتمعون فيكتبون أسماء بنات القرية على أوراق ويضعونها في صندوق ، ثم يسحب كل شاب منهم ورقة ، فالتي يخرج اسمها تكون عشيقة له طيلة السنة ، ثم يرسل لها بطاقة مكتوباً عليها (باسم الآلهة الأم أرسل لك هذه البطاقة) وبعد انتهاء السنة يغير عشيقته ، فلما انتشرت النصرانية في أوروبا ؛ استرعى هذا الأمر أنظار رجال الدين فأحبوا أن يصبغوه بالنصرانية فغيروا العبارة إلى (باسم القسيس فالنتاين أرسل لك هذه البطاقة) ولأن فالنتاين رمز نصرانيّ فمن خلاله يتم ربط هؤلاء الشباب بالنصرانية ، ولكن رجال الدين النصراني لما رأوا أن في هذا الأمر مفسدة للأخلاق ومجلبة للرذيلة ثاروا عليه وأبطلوه عدة قرون إلى أن تم إحياؤه ، ولا يُدرى متى كان إحياؤه، فهم مختلفون في تحديد تاريخ إحيائه، ولكن بعض الكتب تسمى بـ (كتب الفالنتاين) فيها بعض العبارات والأشعار الغرامية ، كانت تباع في فترات ما بين القرن الخامس عشر والثامن عشر.

وأيضاً من مراسيم هذا اليوم عندهم أنهم يذبحون كلباً وعنزة ،ثم يدهنون بالدم جسمَي شابين مفتولي العضلات ،ثم يغسلون الدم باللبن ، وبعد ذلك يسير موكب ضخم يطوف الشوارع يتقدمه الشابان ، ومع الشابين قطع من الجلد ، يلطخان بهما من يقابلون من الناس ، والنساء يعترضن طريق الشابين حتى ينالهن من التلطيخ اعتقاداً منهن أن هذا التلطيخ يمنع العقم ويشفيه.

تبادل الورد الأحمر ولبس اللباس الأحمر والهدايا الحمراء وذلك تعبيراً عند الرومان عن حب آلهتهم من دون الله وعند النصارى عن الحب بين العشيق والعشيقة.

توزيع بطاقات المعايدة في هذا العيد وفي بعضها رسم لطفل له جناحان يحمل قوساً ونِشَّاباً وهذا هو إله الحب عند الرومان الوثنيين.

إقامة الحفلات الليلية والنهارية المختلطة وما يكون فيها من المعاصي والمنكرات.

اهتمام أصحاب محلات الهدايا والمكتبات بالتحضير له بتجهيز الورود الحمراء، وقد تباع هذه الورود الحمراء بأسعار تضاعف أسعارها الطبيعية بمرات!!!.

ثالثاً (حكمه):

أما حكمه في الشرع فلندع المجال لعالم فقيه ومجتهد نبيه يصدر لنا فتوى عن علم وبصيرة بمثل هذه الأمور.

سئل الإمام ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ ما حكم عيد الحب ، وما هي توجيهاتكم ؟

قال :" الأول أنه عيد لا أساس له في الشريعة.الثاني أنه يدعو إلى اشتغال القلب بمثل هذه الأمور التافهة المخالفة لهدي السلف ، فلا يحلّ أن يحدث في هذا اليوم شيء من شعائر هذا العيد ، سواء في المأكل أو المشرب أو التهادي أو غير ذلك.

وعلى المسلم أن يكون عزيزاً بدينه وألا يكون إمعة يتبع كل ناعق".

قلت : وبالنظر في هذا العيد نخرج بما يلي:

أولاً : الأعياد الشرعية في الإسلام ثلاثة ـ الفطر والأضحى والجمعة ـ شرعها ربنا ﷻ وهي عبادات محضة ، والعبادات توقيفية لا يجوز لأحد أن يخترع عيداً أياً كان.

ثانياً: لا أصل لهذا العيد في الأديان السماوية الثلاثة ، فهو روماني وثني تلقته النصارى عنهم ثم نبذه رجال دينهم، فكيف ترضاه لنفسك وأنت من أنت في عزتك بدينك؟

ثالثاً : حرّم الله التشبه بأهل الكفر والإلحاد في عاداتهم وسلوكياتهم {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران ١٠٥]

قال النبي ﷺ "من تشبه بقوم فهو منهم" فهذا النهي شامل لأمور الدين والدنيا، فكيف ترضى مخالفة كتاب ربك وسنة نبيك ﷺ .

رابعاً : المقصود من هذا العيد إشاعة المحبة ، لكن المحبة التي يُرَوجون لها هي التي تكون خارج إطار الزوجية ، فإذن هي محبة عشق وغرام وما يتبع ذلك من دواعي الزنا، لذلك تنبه رجال الدين النصارى لهذا الخطر، فمنعوا إقامة شعائر هذا العيد لما رأوا منه أنه يدعو إلى الأخلاق الرذيلة.

خامساً :أن فيه مضيعة للوقت وإهداراً للأموال في غير طريقها الشرعي والرسول ﷺ قال:"لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيما أفناه؟وعن شبابه فيما أبلاه؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم".

رابعاً (ماذا يجب علينا):

١- عدم الاحتفال به أو المشاركة سواء بحضور بعض مراسيمه أو تهنئة الناس به أو جعله يوماً خاصاً ، قال شيخ الإسلام "فإذا كان لليهود عيد وللنصارى عيد كانوا مختصين به فلا نشركهم فيه كما لا نشركهم في قبلتهم وشرعتهم".

٢- عدم إعانة الكفار ولا المسلمين في الاحتفال سواء بإهداء أو طبع أيٍّ مما يخص هذا العيد ؛ لأن النهي عن التعاون على الإثم والعدوان ورد في القرآن ، ولا شك أنه من الإثم والعدوان أن نقيم مثل هذه الأعياد التي تخالف شرع ربنا وسنة نبينا ﷺ وتدعو إلى الرذيلة.

٣- ولا يجوز لنا أن نتشبه بأهل هذا العيد من تهادي الورود الحمراء ولبس الأحمر، وغير ذلك لما ورد من نهي عن التشبه بالكفار.

٤- وعلى أصحاب المكتبات ومحلات الهدايا أن يتقوا الله ﷻ فلا يجعلوا هذا اليوم من أيام الموسم ـ كما يقولون ـ فإنهم بذلك يعينون على معصية الله ، وأن يتيقنوا

أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وأن يعلموا أن ما عند الله خير وأبقى ، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

٥- يجب علينا معشر المسلمين أن نقف في وجه هذه الأعياد وكل ما من شأنه مخالفة شرعنا الحنيف بمنع إقامة مثل هذا العيد وتنبيه الناس على خطره ونشر الوعي الديني بين الشباب والبنات.

وكذا بالنسبة للآباء والأمهات عليهم المحافظة على أبنائهم ومنعهم من الانخراط في مثل هذه الأمور، فهذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبعد هذا البيان والتوضيح أخي المسلم ها قد عرفت مصدر هذه المهزلة وعرفت قيمتها عند أهلها فلا أظنك إلا متبعاً لدينك مقتدياً بنبيك، مجانباً أعداء الله، كارهاً لهم ولما يفعلون، معتزاً بدينك الذي فيه العزة والرفعة، مستجيباً لداعي الله {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ } [الأحقاف ٣١] ، مبغضاً الكفر وما يجلبه من عادات، مقدماً دينك على سواه من تقليد أعداء الله ، وأنت تعلم أنهم قبل أيام سبوا ديننا وسبوا رسولنا ﷺ ، فهل يستقيم لنا والحالة هذه أن نقلدهم ونركض وراءهم، ويا ليتنا أخذنا منهم ما ينفعنا من تقدم علمي وتكنولوجي بل نأخذ منهم زبالات أفكارهم وحثالات عاداتهم.

أخي هل ترضى لنفسك أن تكون ذنباً في الباطل وأنت رأس في الحق ؟

هذه نصيحتي أقدمها لأبناء ديني حباً ونصحاً لهم وتبرئة للذمة أمام الله ـ جل في عليائه وعظم في عالي سمائه ـ وأنا أعلم ـ إن شاء الله ـ منك يا من تقرأ هذه الورقة أنك محب لله ورسوله ﷺ ومحب للإسلام والمسلمين، وستأخذ هذه النصيحة مأخذ القبول {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [النور ٥١] وأنت منهم بإذن الله.

أسأل الله أن يردنا إلى ديننا ، وأن يعزنا به وأن يجعلنا ممن يستمع فيتبع ، وأن يكتب لي أجر هذه النصيحة والحمد لله رب العالمين

❖❖❖

وضوح حياة الرسول ﷺ

الدكتور عبد الحليم عويس

إن الركن الأول من أركان دخول الشخصية التاريخية مجال التنافس في مضمار العظمة هو أن تكون واضحة ..

هكذا ذكر (مايكل هارت) في مقياسه الذي قام عليه منهجه في كتابه الشهير "الأوائل" إنه يقول:

"ومن عشرات البلايين الموجودين على هذه الأرض ذكرت القواميس البيولوجية أسماء أقل من واحد المليون، ومن الـ ٢٠,٠٠٠ شخص المذكورة أسماؤهم في القواميس نحو حوالي نصف في المائة فقط ذكرت في هذه القائمة .. ويجدر بي أن أذكر على أي أساس وضعت هذه القائمة. فالأساس الأول هو أن الأشخاص الحقيقيين هم الجديرون بالاعتبار" ([1]).

والخاصة العظمى في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وشخصيته هي هذا الوضوح الكبير، فكأن الذين درسوا حياته دراسة جيدة، وعرفوه من خلال ما ورد عنه في القرآن – الذي هو المصدر الأول لسيرته – وما ورد في كتب السنة عن شمائله، وما ورد في كتب السيرة والتاريخ ... لكأنهم يعيشون معه، ويحسون بحركته اليومية، وغدواته في دروب مكة والمدينة.

ويمكن للباحث أن يعرف مدى الوضوح في حياة رسول الله إذا هو قارنها بأية شخصية أخرى في التاريخ، بل إذا هو قارنها بشخصية أي نبي آخر، من مثل نوح الذي عاش ٩٥٠ سنة، أو بموسى أو بعيسى .. أو غيرهم.

---

[1] انظر المائة الأوائل.

لقد كان المجتمع المسلم كله يراقب كل أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، ويسمي كل هذا (سنة رسول الله) أي طريقته – ويعتبرها تشريعا مكملا للقرآن وشارحا له.

يقول المستشرق (مونتيه) في وصف وضوح حياة الرسول:

"لقد ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل محمد، وإن ما قام به من إصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية" ([١]).

وتقول الدكتورة "لورافيشيا فاعليري" أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية بجامعة نابولي بإيطاليا:

"لقد حاول أقوى أعداء الإسلام – وقد أعماهم الحقد – أن يرموا نبي الله ببعض التهم المفتراة، لقد نسوا أن محمدا كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته، ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل كيف جاز أن يقوى محمد على تهديد الكاذبين والمراءين في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الأبدية لو كان قبل ذلك رجلا كذابا ([٢])؟

لقد عاش محمد أربعين سنة قبل البعثة مع أهل مكة، يتعامل معهم يوميا، ويشترك في أمورهم العارضة، والكبيرة، وما عرف عليه السلام بشيء أمسكوه عليه قبل إعلانه نبوته، فما غش، وما كذب، وما خان، بل كان عندهم الصادق الأمين.

وإنه عليه السلام عندما أمره الله بإعلان رسالته صعد الصفا، وهتف بقريش، قائلا: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفوح هذا الجبل أكنتم تصدقونني؟

قالوا: نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط ([٣]).

فهذا الحوار تقرير من أهل مكة – في هذا الحشد – عن الأربعين سنة التي عاشها الرسول بينهم ....

([١]) نقلا عن مصطفى السباعي: عظماؤنا في التاريخ ٨٧.

([٢]) المرجع السابق ٨٩.

([٣]) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ١ / ٢٠٠.

وثمة تقرير آخر عن هذه الفترة الطويلة اعترف فيه عدو الرسول "النضر بن الحرث بن كلدة" .. فقد قال لقريش في مجلسهم وهو يتباحثون كيف يقاومون الرسول، فقام لهم النضر وقال:

يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم فيه ما قلتم ([1]).

بل إن قريشا – بعد بعثته وحربهم له – لم يتورعوا عن أن يضعوا عنده ودائعهم، وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم خلف علي بن أبي طالب وراءه ليؤدي هذه الودائع إلى أهلها ([2]).

فهل هناك شهادة أبلغ من هذه الشهادة؟

وهل ورد في التاريخ أن عدوا يأمن عدوه – بهذه الصورة – اللهم إلا إذا كانت صفحته وشخصيته واضحة غاية الوضوح، وإلا إذا كان في غاية الثقة من أنه في القمة من نقاء الخلق وصفاء السريرة ورقي المسلك.

ولم يقف الأمر عند رقابة المجتمع بعامته بل ثمة (عيون) أكثر إحاطة به تقف دائما على باب منازله ترصد كل حركة يأتيها ... وتسجلها، وتنقلها .. وتعتبرها تشريعا.

إن هذه العيون هم (خدمه ومواليه) الذين من أشهرهم هند وأسماء ابنتا حارثة، وسلمى، وخضرة، ورضوى وميمونة بنت سعد، وأم أيمن واسمها بركة، وزيد بن حارثة، وثوبان، وسفينة وأنسة، وأبو كبشة، وصالح شقران، ورباح، ويسار، وأبورافع، وفضالة، ورافع، وأبو مويهبة ([3])، ومدعم، وأنس بن مالك، الذي يعد أشهرهم على الإطلاق والذي عاش بعد الرسول أكثر من سبعين سنة، وعبد الله بن

---

[1] ابن هشام السيرة النبوية: ١ / ٣١٩ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبع مصر.

[2] ابن هشام: ٢ / ٩٨، الطبعة السابقة.

[3] انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى: ١ / ٤٩٧، طبع دار بيروت ١٩٧٨م، وانظر ابن كثير (الفصول في اختصار سيرة الرسول في ٢٢٨) وانظر ابن الجوزي: الوفاء: ٢ / ٢٧٣.

مسعود صاحب نعليه، وربيعة بن كعب، وعقبة بن عامر صاحب بغلته، وبلال، ومخبر، وكيسان، وورذان، وغيرهم ([1]).

أما أهل الصفة، وعلى رأسهم المحدث المعروف (أبوهريرة) الذي اعتبر أكثر الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما هؤلاء فكان عليهم ملاحقة الرسول عليه السلام منذ أول خطوة يخطوها خارج بيته.

وينفرد الرسول صلى الله عليه وسلم في وضوح شخصيته وسلوكياته كلها – بميزة لا يشاركه فيها أحد غيره في التاريخ المعروف. فمن بين المائة الذين اختارهم (مايكل هارت) كان هناك (١٩) لم يتزوجوا، لكن ليس هناك إلا محمد عليه السلام هو الذي حقق تلك الشخصية الفذة بينما كان يجمع بين تسع من الزوجات في آن واحد، والقيمة الحقيقية لهذا العدد من الزوجات، قد نعرفها إذا تذكرنا المثل الدارج الذي يفيدنا بأن العظيم لا يكون في بيته عظيما .. فكيف استطاع محمد أن يظل عظيما في كل هذه البيوت؟ وأن تظل زوجاته من بعده مقدرات لعظمته، مع اختلاف قبائلهن، ومع أن بعضهن عشن بعده نحو خمسين سنة، فعائشة عاشت إلى سنة ٥٨ للهجرة، وأما جويرية بنت الحارث فقد عاشت إلى سنة ٥٦ هـ وعاشت صفية إلى سنة ٥٠ هـ، وحفصة بنت عمر عاشت إلى سنة ٥٠ أو ٤٥ هـ، وأم سلمة عاشت إلى سنة ٥٩ هـ أي بعده بنحو خمسين سنة ([2]).

وليس هذا مناط الشاهد الذي نريده من تفرد النبي بهذه الميزة التي لم يفهمها كثير من أعداء الإسلام أو المسلمين حق الفهم ... وإنما مناط الشاهد الذي نريده هو تلك الدرجة من الوضوح التي يمكن أن يعكسها وجود هذا العدد الكبير من الزوجات ..

فإذا أمكن لمحمد أن يعيش مع الناس حياة ظاهرية يرونه فيها ويراقبون حركاته، وقد يستطيع الكثيرون أن يظهروا في المجتمع بصورة متكلفة – فإن محمدا لا يستطيع أن يتكلف حياة غير حقيقية في بيته .. مع كل هذا العدد من الزوجات!!

---

[1] ابن كثير: الفصول ٢٢٨ وانظر ابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى ٢ / ٢٧٣ وما بعدها.

[2] انظر في هذا: الحافظ ابن كثير: الفصول في اختصار سيرة الرسول ٢١٩ وما بعدها، طبع دار القلم بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ وانظر في زوجات الرسول – أيضا – سيرة ابن هشام: ٤ / ٣٢١.

وإذا أمكن أن تكون هناك زوجة أو زوجتان، تقومان بإخفاء شيء من حياته، فإن من المستحيل عقلا – لو كان في حياته شيء مريب – أن يتواطأ تسع زوجات – وحتى بعد وفاته – على إخفاء هذا الشيء. فسيره محمد التي بين أيدينا عن شمائله إنما هي أوثق سيرة مأمونة من الكذب والتمويه على امتداد التاريخ كله.

وجانب آخر يحققه هذا العدد من الزوجات .. هذا الجانب هو أننا نستطيع أن نطمئن إلى أن كل صغيرة وكبيرة في حياة الرسول وشخصيته قد نقلت إلينا تماما .. وليس ثمة في التاريخ كله نبي أو عظيم عرف التاريخ أخص خصوصياته مثلما عرف محمد صلى الله عليه وسلم ... فحتى قضاؤه لوطره واغتساله بعده، وطريقة غسله، ونومه، وطريقة قضائه لحاجته، واغتساله منها ..

كل ذلك، نقله إلينا التاريخ بطريقة موثوقة ندر أن تتمتع بمثل وثاقتها نصوص في التاريخ.

ومن زاوية أخرى فهذه هي صفحة الرسول واضحة في مصادر لا يرقى إليها شك، فقد حفظها القرآن في عشرات السور، ولخصتها آية قرآنية تخاطب محمدا وتصف خلقه وتقول له: {وإنك لعلى خلق عظيم} ([1]).

وإن كتب السنة الصحيحة والمعروفة لدى جمهرة المسلمين: البخاري ومسلم والترمذي، والنسائي، وأبوداود، وابن ماجه، وموطأ مالك ... ليست إلا تسجيلا وثائقيا لحياة الرسول ولأقواله وأخلاقه. وهذه الكتب تبلغ صفحاتها عددا من الآلاف، وقد خضعت لمنهج "الجرح والتعديل" الذي يعتبر من أوثق المناهج في النقد والتمحيص.

وقد كتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم وشمائله آلاف الكتب، كتبها مسلمون وغير مسلمين، وما يخلو قرن من القرون – منذ ظهوره – عليه السلام – إلا وتظهر دراسات عن سيرته وشخصيته، تكمل ما سبقها وتضيف ما ظهر لها.

فهل ثمة في التاريخ وضوح يضاهي هذا الوضوح أو يقاربه ؟!!!



[1] سورة القلم آية ٥.

الوسطية في الإسلام

(٢)

د. إقبال البسكوهري

الأدلة على الوسطية من الكتاب والسنة:

وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تأمر بأخذ الوسط والاعتدال والخير وتنهى عن الغلو والتقصير وعن الجفاء والجور. وأذكر بعضا منها على سبيل المثال.

قال الله تعالى في كتابه: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس} (البقرة: ١٤٣)

فسر النبي صلى الله عليه وسلم ما هو المطلوب في هذه الآية من قوله "وسطا" فقال: يجاء بنوح يوم القيام فيقال له هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتُسأل أمته هل بلّغكم، فيقولون ما جاء من نذير، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا – قال: عدلا – لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) [1].

وقال: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر}. (آل عمران: ١١٠)

والخير الوسط لأنه أحد معانيه.

وكقوله تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه} (الأنعام: ٥٣) والصراط المستقيم هي الصراط الوسط كما في قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين} (الفاتحة: ٦ – ٧) لأن صراط المغضوب عليهم – وهم اليهود – صراط الجور والجفاء، وصراط الضالين – وهم

[1] صحيح البخاري رقم (٧٣٤٩).

النصارى – صراط الغلو والتطرف، فما بقي إلا صراط العدل والوسط. وهي صراط الدين الإسلامي الذي أمر الله باتباعه.

وقال: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق} (النساء: ١٧١)

فالغلو في الدين والتقول فيه مذموم مردود. وإن كان الخطاب لأهل الكتاب ولكن حكمه عام.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثا [١]. والمتنطعون هم: المتشددون الغالون المجاوزون للحد سواء في القول أو الفعل.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضا: "إن الدين يسر، لن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" [٢].

والمشادة المغالبة. ومعناه لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، ففيه المنع من الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضية إلى ترك الأفضل.

والسداد: هو الصواب من غير إفراط ولا تفريط، قال أهل اللغة: السداد: التوسط في العمل. [٣]

وقال: "سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، القصد، القصد تبلغوا". [٤]

ومعنى قاربوا: أي لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرطوا، ومعنى "القصد القصد" أي اطلبوا الطريق الوسط والمعتدل. [٥]

---

[١] صحيح مسلم (٢٦٧).

[٢] صحيح البخاري رقم (٣٩) ومسلم (٢٨١).

[٣] فتح الباري: ١ / ٩٤ – ٩٥.

[٤] صحيح البخاري، رقم (٦٤٦٣).

[٥] فتح الباري: ١١ / ٢٩٧، ٢٩٨.

وقال عليه الصلاة والسلام: "إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" [1].

وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن التعسف والتشدد في العبادة بمخالفة السنة كما ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: جاء ثلاثة رهبط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر وأصلي، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. [2]

هذه النصوص وما في معناها تدل دلالة واضحة على أن الوسطية والاعتدال هي أساس الدين الإسلامي، وأن الغلو والتطرف والتنطع والتشدد بجميع أنواعه وأقسامه وأسبابه مذموم مطرود ليس له أي صلة بالإسلام.

والمراد بالاعتدال هنا: الاعتدال في الخير لا في الشر، لأن جميع معاني كلمة "الوسط" في اللغة واستعمالها في الكتاب والسنة تدور على الخير، والأجود والأمثل والأشرف، وتنافي الشر والفساد، والجفاء والظلم، والتشدد والتعمق، فلا توسط ولا اعتدال في الشر، فالشرك مثلا من أوله إلى آخره شر بأي شكل كان، وكذلك قتل النفس التي حرم الله، وعقوق الوالدين، والسحر، والزنا والسرقة، كلها ظلم وجور، وكلها شر لا خير فيها، لا في أولها ولا في وسطها ولا في أعلاها. فلا يتصور الاعتدال والوسط في الشرك والكفر، ولا في قتل النفس المحرمة، وإتيان السحر، والعقوق، ولا في الزنا والسرقة، ولا في أي شيء شر، فالشر كله شر لا خير فيه.

---

[1] سنن النسائي رقم (٣٠٥٧) ، وابن ماجه رقم (٣٠٢٩) وصححه ابن خزيمة وابن حبان.

[2] صحيح البخاري رقم (٥٠٦٣)، ومسلم (النكاح: ٥).

ولما كان بناء الدين الإسلامي وأساسه على التوسط والاعتدال، وكانت هذه الأمة أمة خير، وأمة وسط، لذا كان من الضروري أن تكون جميع أمور الدين من العقيدة والعبادة، والأخلاق والمعاملات وغيرها وسطا معتدلا. وهو الواقع، فجميع ما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أمور الدين كلها معتدلة، وكلها خير، فلا نحتاج للبحث عنها في غير الكتاب والسنة.

وضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وسطية الدين والأمة فقال: "خص الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بخصائص ميزه على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شرعة ومنهاجا، أفضل شرعة وأكمل منهاج، وجعل أمته أمة وسطا خيارا عدولا، فهم وسط في توحيد الله وأسماءه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام فأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وأحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، لم يحرم عليهم شيئا من الطيبات كما حرم على اليهود، ولم يحل لهم شيئا من الخبائث كما استحلتها النصارى، ولم يضيق عليهم باب الطهارة والنجاسة كما ضيق على اليهود، ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى، ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود ولا أشركوا بعبادته كفعل النصارى. [1]

وسطية الإسلام في العقيدة:

الإسلام والمسلمون وسط في الإيمان بالله، وسط في توحيده، وسط في أسماءه وصفاته بين الغالي فيه والجافي عنه. فما وصفوا الله مثل ما وصفه اليهود فقد رماه اليهود بالفقر والبخل والعجز، قال الله تعالى: {لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء} (آل عمران: ١٨١) وقال: {وقالت اليهود يد الله مغلولة} (المائدة: ٦٤) وما وصفوه كما وصفه النصارى حيث قالوا: {إن الله هو المسيح بن مريم} (المائدة: ٧٢) {وقالوا إن الله ثالث ثلاثة} (المائدة: ٧٣) فأشركوا به وجعلوا له ولدا، ووصفوا الخالق بالمخلوق، والمخلوق بالخالق، فحادوا عن سواء السبيل {وقالت اليهود عزير بن الله،

[1] انتهى ملخصا من الجواب الصحيح: ١ / ٦ – ٧.

وقالت النصارى المسيح بن الله} (التوبة: ٣٠) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا {قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد} (الاخلاص).

والمسلمون وسط في الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، لم يفرقوا بين أحد منهم كما فرق اليهود والنصارى، فآمنوا بالبعض، وكفروا بالبعض {أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون} (البقرة: ٨٧) وقال الله تعالى: {كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون} (المائدة: ٧٠)

والمسلمون يؤمنون بجميع الأنبياء والرسل بدون التفرقة بينهم ويمتثلون قوله تعالى {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون} (البقرة: ١٣٦) وقال تعالى: {كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله} (البقرة: ٢٨٥)

وما أعدل هذا الإيمان وأنسب بشأن الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم. وكذا هم يؤمنون بجميع الكتب المنزلة والصحف السماوية المسمى وغير المسمى، يؤمنون إيمانا مجملا بما لم يرد فيه التفصيل وإيمانا مفصلا بما ورد فيه التفصيل، فليسواهم مثل أهل الكتاب في التفريق بالإيمان بالكتب السماوية الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض {وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم} (البقرة: ٩١).

كذلك يؤمنون بجميع الملائكة بأنهم عباد الله المكرمون، يفعلون ما يؤمرون، يسبحون بحمده، ويعبدونه ولا يستكبرون عن عبادته، وأما اليهود فبخسوا حقهم ونقصوا منازلهم وقاموا بالعداوة والبغضاء عن بعضهم حتى قالوا عن جبرئيل عليه السلام أنه عدولهم. {قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله} (البقرة: ٩٧) وقال الله أيضا {من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين} (البقرة: ٩٨) وأما النصارى فجعلوه إلها وثالث ثلاثة. فالمسلمون –

كما قال ابن تيمية رحمه الله – وسط في توحيد الله، وأسماءه وصفاته وفي الإيمان برسله وكتبه وشرائع دينه. [١]

الوسطية في العبادة:

الإسلام ويحب الوسط والاعتدال في العبادة، ويأمر به فهو وسط بين الاستكبار والرهبنة، فاليهود استكبروا عن عبادة الله، والنصارى غلوا في عبادته فاختاروا الرهبنة، وهي المبالغة في العبادة والانقطاع عن الناس وإيثار العزلة والتبتل، قال الله تعالى: {ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم} (الحديد: ٢٧)

وقال عن اليهود بأنهم استكبروا وامتنعوا عن أهم العبادات وهي الجهاد في سبيل الله وقالوا {فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون} (المائدة: ٢٤).

وبين الله سبحانه الوسطية في العبادة فقال: {ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا} (الاسراء: ١١٠} وقال: {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول} (الأعراف: ٢٠٥) قال القرطبي رحمه الله: أي دون الرفع والخفض في القول، أي أسمع نفسك وابتغ بين ذلك سبيلا، بين الجهر والمخافة. [٢]

وقد نهى الله عن الغلو في الدين فقال: {لا تغلوا في دينكم} (النساء: ١٧١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين} [٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال وغيرها. [٤]

---

[١] الجواب الصحيح ص ٦.

[٢] تفسير القرطبي: ٧ / ٣٥٥.

[٣] أخرجه النسائي، وابن ماجه كما تقدم، وابن خزيمه برقم (٢٨٦٧) وابن حبان برقم (٣٨٧١).

[٤] وسطية الإسلام للشيخ حبيب الله الصيني.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا"[١]. وقال: "لن يدخل أحدكم الجنة عمله" [٢] أي فلا فائدة في التعمق والتكلف في العمل فعلى المرء المسلم أن يتوسط في عمله ويكتفي على ما أمر الله به ووضحه الرسول صلى الله عليه وسلم بسنته وسيرته.

الوسطية في المعاملات:

الإسلام كما هو وسط في العبادة كذلك هو وسط في المعاملات والأخلاق، لذا يحب السماحة والعفو في المعاملات، والرفق في الأمور، واللين في الكلام، قال الله تعالى: {خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين} (الأعراف: ١٩٩) وقال {والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس} (آل عمران: ١٣٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لما قالت عن اليهود: وعليك السام واللعنة: مهلا يا عائشة "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"[٣].

وإن الله سبحانه يحب الوسط في الكيل والوزن مع الرجحان ويبغض التطفيف والنقص والغش والخداع في البيع والشراء، قال الله تعالى: {وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم} (الأعراف: ٨٥) وقال: {ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون} (المطففين: ١ – ٣).

فالرفق والسماحة في المعاملات والأمور، والعدل في الكيل والوزن، وعدم الخداع والغش في البيع والشراء وأي أمر من الأمور كل ذلك من وسطية الإسلام.

(يتبع)



---

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) صحيح البخاري (٥٦٧٣) وصحيح مسلم (المنافقين: ٧٥).

(٣) صحيح البخاري (٦٩٢٧) ومسلم (البر: ٧٧).

أدب الأذكار

(٧)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

٩ – "رب أعني ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليّ، رب اجعلني لك شكارا، لك ذكارا، لك رهابا، لك مطيعا، إليك مخبتا، إليك أواها، منيبا، رب! تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، واهد قلبي، وسدد لساني، وثبت حجتي، واسلل سخيمة قلبي" [١]

قال أبو الحسن الطنافسي: قلت لوكيع: أقوله في قنوت الوتر؟ قال: نعم.

١٠ – اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر. [٢]

١١ – وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى". [٣]

١٢ – وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: "اللهم ثبت قلبي على دينك". [٤]

١٣ – اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم. [٥]

---

[١] ابن ماجه ٢ باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٨٣٠) وصححه الألباني.
[٢] ابن ماجه ٢ باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٨٣١) وصححه الألباني.
[٣] ابن ماجه ٢ باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٨٣٢) وصححه الألباني.
[٤] ابن ماجه ٢ باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٨٣٤) وصححه الألباني.
[٥] ابن ماجه ٢ باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٨٣٥) وصححه الألباني.

١٤ – وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من الأربع: من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع". [١]

١٥ – "سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته". [٢]

١٦ – "اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك". [٣]

١٧ – "اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت وشر ما لم أعمل". [٤]

١٨ – "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر". [٥]

١٩ – "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها". [٦]

من استعاذات النبي صلى الله عليه وسلم:

مما تعوذ منه النبي صلى الله عليه وسلم ما يلي:

١ – "اللهم فإني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، ومن شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقر، وأعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال، اللهم

---

[١] ابن ماجه ٢ باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٨٣٧) وصححه الألباني.

[٢] سنن الترمذي كتاب الدعوات (١٠٤) (٣٥٥٥) وصححه الألباني.

[٣] سنن الترمذي، كتاب الدعوات (١١١) باب (٣٥٦٣) وحسنه الألباني.

[٤] رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في الأدعية، عن عائشة رضي الله عنها.

[٥] رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في الأدعية، عن عائشة رضي الله عنها.

[٦] رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد، ونقّ قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطايا كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم فإني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم. [١]

٢ – "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات". [٢]

٣ – "اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات". [٣]

٤ – كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من سوء القضاء، ومن درك الشقاء، ومن شماتة الأعداء، ومن جهد البلاء. [٤]

٥ – أخبرني أبو عبد الله أن ابن عابس الجهني أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "يا ابن عابس! ألا أدلك – أو قال : ألا أخبرك – بأفضل ما تعوذ به المتعوذون" قال: بلى يا رسول الله! قال: "قل أعوذ برب الفلق" و "قل أعوذ برب الناس" هاتين السورتين. [٥]

٦ – "اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر". [٦]

٧ – "اللهم إني أعوذ بك من الهم، والحزن، والعجز، والكسل، والبخل، والجبن، وغلبة الرجال". [٧]

---

[١] رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، كتاب الذكر والدعاء الخ، باب الدعوات والتعوذ.

[٢] رواه مسلم عن أنس بن مالك، كتاب الذكر والدعاء الخ، باب الدعوات والتعوذ.

[٣] رواه مسلم عن أنس، كتاب الذكر والدعاء الخ، باب الدعوات والتعوذ.

[٤] رواه مسلم عن أبي هريرة، كتاب الذكر والدعاء الخ، باب الدعوات والتعوذ.

[٥] النسائي ٥٠ كتاب الاستعاذة ١ (٥٤٣٢) وصححه الألباني.

[٦] النسائي ٥٠ كتاب الاستعاذة ١ (٥٤٤٥) وصححه الألباني.

[٧] النسائي ٧ الاستعاذة من الهم (٥٤٤٩) وصححه الألباني.

٨ – عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يتعوذ من المغرم والمأثم، قلت: يا رسول الله! ما أكثر ما تتعوذ من المغرم؟ قال: "إنه من غرم، حدث فكذب، ووعد فأخلف". [١]

٩ – "اللهم عافني من شر سمعي، وبصري، ولساني، وقلبي، ومن شر منيي" [٢] – يعني: ذكره – .

١٠ – "اللهم إني أعوذ بك من الفقر، وأعوذ بك من القلة والذلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم". [٣]

١١ – "اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفقر، وعذاب القبر". [٤] كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهن في دبر الصلاة.

١٢ – "اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة". [٥]

١٣ – "اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء". [٦]

١٤ – "اللهم إني أعوذ بك من الهم، والحزن، والكسل، والبخل، والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال". [٧]

١٥ – كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من سوء القضاء وشماتة الأعداء، ودرك الشقاء وجهد البلاء. [٨]

١٦ – "اللهم إني أعوذ بك من الجنون والجذام والبرص وسيئ الأسقام". [٩]

---

[١] السائي ٩ باب الاستعاذة من المغرم والمأثم (٥٤٥٤) وصححه الألباني.

[٢] النسائي ١٠ الاستعاذة من شر السمع والبصر (٥٤٥٥) وصححه الألباني.

[٣] النسائي ١٤ الاستعاذة من الذلة (٥٤٦٠) وصححه الألباني.

[٤] النسائي ١٦ الاستعاذة من الفقر (٥٤٦٥) وصححه الألباني.

[٥] النسائي عن أبي هريرة ١٩ الاستعاذة من الجوع (٥٤٦٨) وقال الألباني: حسن صحيح.

[٦] النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ٢٤ الاستعاذة من غلبة الدين ٥٤٧٥ وصححه الألباني.

[٧] النسائي عن أنس بن مالك ٢٥ الاستعاذة من ضلع الدين (٥٤٧٦) وصححه الألباني.

[٨] النسائي عن أبي هريرة ٣٥ الاستعاذة من درك الشقاء (٥٤٩٢) وصححه الألباني.

[٩] النسائي عن أنس رضي الله عنه ٣٦ الاستعاذة من الجنون (٥٤٩٣) وصححه الألباني.

١٧ – "اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والجبن والبخل وسوء الكبر وفتنة الدجال وعذاب القبر". [١]

١٨ – "اللهم رب جبرئيل وميكائيل ورب اسرافيل؛ أعوذ بك من حر النار، ومن عذاب القبر". [٢]

١٩ – عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سأل الله الجنة – ثلاث مرات – قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار – ثلاث مرات – قالت النار: اللهم أجره من النار". [٣]

٢٠ – "اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم، والغرق والحريق وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا، وأعوذ بك أن أموت لديغا". [٤]

٢١ – أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك. [٥]

أبخل البخيل من ذكر عنده اسم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصل عليه. عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم رقي المنبر فقال: آمين، آمين، آمين. قيل له: يا رسول الله ما كنت تصنع هذا؟ فقال: "قال لي جبرئيل: رغم أنف عبد أدرك أبويه أو أحدهما لم يدخله الجنة. قلت: آمين. ثم قال: رغم نفس عبد دخل عليه رمضان لم يغفر له. فقلت: آمين. ثم قال: رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك. فقلت: آمين. [٦]

ما يقوله عند الخلاء:

"اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث". [٧]

---

[١] النسائي عن أنس، ٣٨ الاستعاذة من شر الكبر (٥٤٩٥) وصححه الألباني.

[٢] النسائي عن عائشة ٥٦ الاستعاذة من حر النار (٥٥١٩) وصححه الألباني.

[٣] النسائي ٥٦ الاستعاذة من حر النار (٥٥٢١) وصححه الألباني.

[٤] النسائي عن أبي اليسر ٦١ الاستعاذة من التردي والهدم (٥٥٣١) وصححه الألباني.

[٥] النسائي عن عائشة ٦٢ الاستعاذة برضاء الله من سخط الله تعالى (٥٥٣٤) وصححه الألباني.

[٦] مسلم في ٤٥ كتاب البر والصلة والآداب ح ٩ – ١٠.

[٧] البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الخلاء، من حديث أنس بن مالك.

ذكر الخروج من الخلاء:

"غفرانك". [١]

ما يقول إذا علا عقبة:

أن يقول الرجل: "الله أكبر" [٢] إذا صعد عقبة.

ما يقول إذا هبط واديا:

أن يقول الرجل "سبحان الله" [٣] إذا هبط واديا.

ما يقال للمتزوج:

"بارك الله لك". [٤]

ما يقول إذا جامع امرأته:

"بسم الله جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا". [٥]

ما يقول عند صياح الديك:

ينبغي للمرء أن يسأل الله تعالى من فضله إذا سمع صياح الديكة، وكذا أن يتعوذ بالله من الشيطان إذا سمع نهيق الحمار. [٦]

أذكار الكرب والحزن:

١ – لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض رب العرش الكريم. [٧]

قال النووي: "فيه حديث ابن عباس، وهو حديث جليل ينبغي الاعتناء به، والإكثار عنه عند الكرب والأمور العظيمة". قال الطبري: كان السلف يدعون به ويسمونه "دعاء الكرب". [٨]

---

[١] أبوداود، كتاب الطهارة ١٧ (٣٠) وصححه الألباني.

[٢] البخاري كتاب الدعوات باب الدعاء إذا علا عقبة.

[٣] البخاري، كتاب الجهاد، باب التسبيح إذا هبط واديا، من حديث جابر.

[٤] البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقال للمتزوج.

[٥] البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أتى أهله.

[٦] مسلم، كتاب الذكر والدعاء إلخ، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك، من حديث أبي هريرة.

[٧] مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب دعاء الكرب، من حديث ابن عباس.

[٨] شرح صحيح مسلم ٢ / ٣٥١، طبع الهند.

٢ – ينبغي للمرء أن يقول عند الكرب الذكر الآتي: "الله، الله ربي لا أشرك به شيئا". [١]

حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب:

يستحب للآكل أن يحمد الله تعالى عقب الأكل والشرب، روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها". [٢]

قال النووي: "وفيه استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب، وقد جاء في البخاري صفة التحميد: "الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا" وجاء غير ذلك: ولو اقتصر على "الحمد لله" حصل أصل السنة". [٣]

أذكار الخروج من البيت:

١ – "بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله". [٤]

٢ – "بسم الله توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نجهل أو يجهل علينا". [٥]

ذكر دخول المنزل:

ينبغي للمرء إذا دخل بيته أن يذكر الله تعالى، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عز وجل عند دخوله، وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم

---

[١] سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء ١٧ باب الدعاء عند الكرب (٣٨٨٣) وقال الألباني: صحيح.

[٢] كتاب الذكر والدعاء الخ، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب.

[٣] شرح صحيح مسلم: ٢ / ٣٥٢.

[٤] سنن الترمذي، كتاب الدعوات ٣٤ باب ما جاء ما يقول إذا خرج من بيته (٣٤٢٦) وصححه الألباني.

[٥] سنن الترمذي، كتاب الدعوات، ٣٥ باب منه (٣٤٢٧) وصححه الألباني.

يذكرالله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء. [١]

قال النووي: وفي هذا استحباب ذكر الله تعالى عند دخول البيت وعند الطعام. [٢]

ما يقول إذا رأى مبتلىً:

ينبغي للمرء إذا رأى صاحب بلاء أن يقول: "الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا، لم يصبه ذلك البلاء. [٣]

ذكر كفارة المجلس:

١ – يستحب للمرء إذا قام من المجلس أن يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك" إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك. [٤]

٢ – "رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور". [٥]

ما يقول إذا نزل منزلا:

يستحب للمرء إذا نزل منزلا أن يقول: "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق". [٦]

(يتبع)

❖❖❖

---

[١] مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

[٢] شرح صحيح مسلم: ٢ / ١٧٢.

[٣] الترمذي، كتاب الدعوات ٣٨ باب ما يقول إذا رأى مبتلى (٣٤٣٢) وصححه الألباني.

[٤] الترمذي، كتاب الدعوات (٣٩) باب ما يقول إذا قام من المجلس (٣٤٣٣) وقال الألباني: صحيح.

[٥] الترمذي، كتاب الدعوات، ٣٩ باب ما يقول إذا قام من المجلس (٣٤٣٤) وصححه الألباني.

[٦] سنن الترمذي، كتاب الدعوات ٤١ باب ما يقول إذا نزل منزلا (٣٤٣٧) وقال الألباني صحيح.

أخلاق إسلامية:

مفاهيم مغلوطة في التعامل مع غير المسلم

أ. د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي

مظاهر لبعض المفاهيم المغلوطة:

تتعدد مظاهر المفاهيم المغلوطة في هذا الباب وتتعدد أسبابها، وأشير هنا إلى أهمها في النقاط التالية:

أ – الانطلاق من الانفعالات والمواقف الشخصية:

لعل من أوسع أبواب الخطأ في فهم طبيعة التعامل الشرعي، وفي فهم الأخلاق المتعينة على المسلم تجاه غير المسلمين: الانطلاق من الانفعالات والمواقف الشخصية، وليس من خلال النصوص والأحكام الشرعية، وبالتالي تأتي المفاهيم والكتابات في هذا الموضوع تبعا لمواقف الأشخاص، وانفعالاتهم، وطبائعهم، وظروفهم. فهي عندئذ تختلف باختلاف القوة والضعف، والشدة واللين، والحماس وضده!

والواجب أن يكون التعرف على هذا الجانب المهم من الإسلام، من خلال النصوص الشرعية، لا المواقف الشخصية، ولا ما يمليه واقع العصر ([1]).

والواجب أن يكون ذلك من خلال الرجوع إلى النصوص كلها وفهمها وفق منهج سديد.

ومن المؤكد أن ما يعبر به بعض المسلمين عن إخلاصهم للإسلام تجاه تعاملهم مع غير المسلمين من تصرفات انفعالية، يعبرون بها عن الكراهية والعداء بطريقة لا يقرها الإسلام، يظنون أنهم ينصرون بها الإسلام، إنما هي تصرفات لا تغني عن العمل الجاد لنصرة الدين، ولا تنوب عن خلق الإسلام وأدبه، ولا تنم عنه. إنها لا تخدم الإسلام في شيء، إنما هي تشنجات وردود أفعال مخطئة. – هذا على الرغم من أن الغالب أن تكون هذه نتيجة لحب الدين والغيرة عليه والإيمان الصادق ولكن إلى جانب غياب

---

[1] ولا سيما في هذا العصر الذي مارست فيه بعض الدول ألوانا من الإساءة والضغوط والاضطهاد للمسلمين، ولغير المسلمين، بعيدا عما تقضي به أصول الأخلاق الحميدة، فانعكس ذلك على طبيعة علاقة المضطهدين – مسلمين وغير مسلمين – بهم، وانعكس على نظرتهم لهم، ومواقفهم منهم، فظهر أثره في آرائهم تجاههم، والشر يجر الشر، والخطأ يجر الخطأ.

الفقه الصحيح له – والصواب الذي ينبغي الأخذ به هو: عمل وئيد راسخ يخدم هذا الدين في أي مجال، أو في شتى المجالات، ويهتدي بهدي الإسلام وأحكامه، ويتخلق بأخلاقه وآدابه {ولينصرن الله من ينصره} ([1]) ونصرنا لله إنما يجب أن يكون بشرع الله، لا بأهوائنا، حتى ولو كانت سائرة في هذا الاتجاه المتشنج، من أجل الدين، ما دامت على غير هديه !

ب – الانطلاق من مفاهيم يظن أنها شرعية، وليست كذلك:

هناك عدة مفاهيم في هذا الباب لا تتفق مع ما جاء به الإسلام من أحكام، ومع ذلك يتعامل بها صاحبها ظنا منه أنها شرعية، يدعوه إليها الإسلام، أشير إلى أهمها في الأسطر التالية:

فمن أغاليط بعض المسلمين الصالحين في هذه القضية ما يلي:

١ – الظن بأن أذية المسلم لغير المسلم فيها أجر مطلقا:

يظن بعض الناس أن أذية المسلم لغير المسلم مأمور بها شرعا، وفيها أجر!! وهذا الفهم لا يؤيده شيء من النصوص الشرعية، البتة، ولعل الظن بأن هناك نصوصا من القرآن والحديث تبيح هذا الصنيع، هو الذي أوقع بعض الناس في هذا الفهم، أو أنه اختلط عليهم هذا الفهم بما أمرت به النصوص المسلمين في قتال الكافرين من الصبر والمصابرة في إيلام العدو! وهذا خطأ وخروج عن موضوع تلك النصوص. نعم جاء في شأن صفات عباد الله قوله تعالى: {أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين} ([2]). وجاء في حديث: (... فإذا لقيتم أحدهم في طريق، فاضطروه إلى أضيقه) ([3]). ولكن، من الخطأ الفادح عزل تلك النصوص عن سياقها الذي وردت فيه، أو عزلها عن المعنى الذي أريد بها، على ما سيأتي من بيان للمعنى المراد منها الفقرة الآتية برقم ٤، وفي الفقرة رقم ٦.

٢ – الظن بأن التعامل الحسن مع غير المسلم حرام:

يظن بعض الناس أن التعامل الحسن مع غير المسلمين حرام، منهي عنه شرعا!، ويظن بعض الناس أنه لا يصح الصدق والعدل في حق غير المسلم!

---

[1] ٤٠ الحج: ٢٢.

[2] ٥٤: المائد: ٥.

[3] يأتي في الفقرة الآتية برقم ٤.

وهذا الفهم لا يؤيده شيء من القرآن والحديث، بل يتعارض مع ما جاء فيهما من التأكيد على الصدق والعدل والانصاف وسائر الأخلاق الحميدة مطلقا، والتأكيد على تحريم الكذب والظلم والجور وسائر مساوئ الأخلاق مطلقا. وعموم النصوص في ذلك ليس له مخصص.

٣ – اختلاط مفهوم التعامل الحسن بمفهوم الولاء والبراء:

يختلط على بعض الناس مفهوم الولاء والبراء، ومفهوم التعامل الحسن مع غير المسلمين! وذلك حينما يظن أن التعامل الحسن مع غير المسلم – مثلا – موالاة له. وليس الأمر كذلك، لأن هذا شيء وذاك شيء آخر، ولا تعارض بينهما البتة.

٤ – الظن بأنه لا يجوز السلام على غير المسلم مطلقا:

يظن بعض الناس أنه لا يصح السلام على غير المسلم مطلقا! مع أن النبي صلى الله عليه وسلم – ومعه أسامة بن زيد – (أتى مجلس قوم، فيهم أخلاط من المسلمين والمشركين، عبدة الأوثان، واليهود، فسلم عليهم) (١)، ومثل هذا الحديث ينبغي أن يضم إلى الأحاديث الأخرى بشأن السلام على أهل الكتاب، كقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب، فقولوا: وعليكم) (٢)، ومن هذا القبيل: قوله: (إذا سلم عليكم اليهود، فإنما يقول أحدهم: السام عليك، فقل: وعليك) (٣)، والسام معناه: الموت.

وفي ضوء ذلك ينظر في المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق، فاضطروه إلى أضيقه) (٤)، فإن المتعين – لفقه حكم الإسلام فقها صحيحا في هذا الأمر – أن يؤخذ هذا الحديث محكوما ببقية النصوص، التماسا للفهم الصحيح لمعانيها، مع التسليم اليقيني بأن كل ما ثبت

---

(١) البخاري، الأدب، باب كنية المشرك، برقم ٦٢٠٧، وأخرجه البخاري في الاستئذان، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، برقم ٦٢٥٤، ومسلم، الجهاد والسير، برقم ١١٦ (١٧٩٨) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه، ومن لفظه: فسارا – أي الرسول صلى الله عليه وسلم وأسامة – حتى مرا بمجلس، فيه عبدالله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين، والمشركين، عبدة الأوثان، واليهود، وفي المسلمين عبدالله بن رواحة، ... فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم.

(٢) البخاري، الاستئذان، برقم ٦٢٥٨، ومسلم، السلام، برقم ٦ (٢١٦٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) البخاري، الاستئذان، برقم ٦٢٥٧، ومسلم، السلام، برقم ٨ (٢١٦٤)، من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) مسلم، السلام، برقم ١٣ (٢١٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق، ولكن على مراد الرسول صلى الله عليه وسلم، لا على تفسيرنا، أو تفسير المفسرين له، الذي قد يجانب الصواب في تفسير أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الواضح أن مثل هذا الحديث، والأحاديث في هذا المعنى، هو من القول الذي ظاهره العموم، والمراد به الخصوص، فليس المراد به أن يكون هذا الأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما عاما أبدا، يدل على هذا الأحاديث الأخرى، وكذلك الرواية الأخرى: (إني راكب غدا إلى اليهود، فلا تبدءوهم بالسلام، فإذا سلموا عليكم، فقولوا: وعليكم) ([1])، فعموم الرواية السابقة يحمل على خصوص هذه الرواية ([2]). ومما قاله الحافظ ابن حجر في معنى هذا الحديث: "قال القرطبي في قوله: (وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه) معناه: لا تتحولوا لهم عن الطريق إكراما لهم واحتراما، وعلى هذا فتكون هذه الجملة مناسبة للجملة الأولى في المعنى، وليس المعنى: إذا لقيتموهم في طريق واسع فألجئوهم إلى حرفه حتى يضيق عليهم، لأن ذلك أذى لهم، وقد نهينا عن أذاهم بغير سبب" ([3]).

ومن المجازفة غير المقبولة من المسلم: أن يتجرأ على الإسلام ونصوصه، فيعمد إلى مثل هذه الأحاديث الصادرة في ظروف محددة، أملاها طبيعة الموقف، واستدعاؤه لها، فيتجرأ المتجرئ، فينتزعها من ظرفها الخاص – كظرف القتال، مثلا – إلى التعميم، الذي لم يأمر به الله تعالى، ولم يأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم.

حقا إن هذه الجرأة، وهذا التصرف، جناية على الإسلام، لا تقبل من مسلم، ولو من غير قصد.

وكيف يملك السالك هذا المسلك، المتجرئ هذه الجرأة على تعميم هذه النصوص القليلة الخاصة، ويتجاهل ما ثبت من النصوص الأخرى الكثيرة، القاضية بالمعاملة الحسنة والأخلاق الكريمة ([4]).

---

[1] البخاري، في الأدب المفرد، برقم ١١٠٢، وأحمد: ٦ / ٣٩٨، بلفظين، للنسائي في عمل اليوم والليلة: ص ٣٠٥، بمعناه، وابن ماجه، برقم ٣٦٩٩، من حديث أبي عبد الرحمن الجهني رضي الله عنه، وقد كان صلى الله عليه وسلم راكبا – أي ذاهبا – إلى يهود بني قريظة لقتالهم عند ما غدروا به، ونقضوا العهد.

[2] ينظر ما ذكره الإمام ابن حجر من فقه أحاديث الباب وأحكامها في: الفتح ١١ / ٣٨ – ٤٠ و ٤١ – ٤٦.

[3] فتح الباري، لابن حجر ١١ / ٤٠.

[4] أقول هذا مع تقديرنا للأئمة الفضلاء الذين اجتهدوا اجتهادا في هذه المسألة: فوقعوا في هذا الخطأ، لكن الحق أحق أن يتبع.

علما بأن السلام على غير المسلم ليس مقيدا بألفاظ محددة، وإما بألفاظ التحية المناسبة للحال.

ومما ألخّص به الاستدلال على هذا الفهم، الذي فسرت به الحديث ما يأتي:

أ – ألفاظ الحديث، وما تدل عليه من القرائن في تحديد الظرف الذي قيلت فيه، وأنها ليست عامة، وإنما وردت في ظرف خاص استدعى القول بها. والمطلق منها يحمل على المقيد، والحديث المختصر يحمل على غير المختصر.

ب – بقية نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي في الموضوع، بصفة عامة، الموجبة معاملة الناس المعاملة الحسنة.

ج – قواعد الشريعة الإسلامية العامة، ومقاصدها العامة، التي تتعارض مع هذه الأحاديث، مما يفسرها بأنها واردة في ظرف خاص، ولم تكن تعليمات عامة للأخذ بها في جميع الظروف والأحوال.

د – تطبيقات رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كلها، وسيرته في تعامله مع غير المسلمين، التي كانت مثالا لحسن المعاملة، وكريم الأخلاق، الأمر الذي كان له الأثر في إسلام بعضهم، لأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاملته له.

هـ - قاعدة تحكيم نصوص الكتاب والسنة، في فقه الإسلام، وأنها هي المرجع الأساس، لا اجتهادات المجتهدين مطلقا.

ومن يرد الله به خيرا يفقه في الدين.

٥ – الخلط بين تفضيل الإسلام، وتفضيل الخلق الشخصي للمسلم:

يظن بعض الناس، أنه بحكم الإسلام، فإنه يتعين الحكم للمسلم أنه أفضل في الخلق والسلوك الشخصي من غير المسلم مطلقا، وأنه لا يمكن أن يوجد غير مسلم أفضل في الخلق والسلوك الشخصي من المسلم، وهذه مغالطة في فهم الدين، وفي فهم الواقع، إذ الأخلاق الممدوحة في الإسلام إنما هي ممدوحة لذاتها، بغض النظر عن صاحبها، كما أن الأخلاق المذمومة في حكم الإسلام مذمومة لذاتها، بغض النظر عن صاحبها، مسلما كان أو غير مسلم. وقد خلق الله الناس جميعا على الفطرة، ولكن الشياطين تجتال من تقدر عليه منهم.

ثم كيف يحق للإنسان أن يفتخر بأخلاق دينه الحق في الوقت الذي قد تخلى عنها فيه ؟.

والإنسان قد يتحلى بصفات متناقضة أو متعارضة: صفات محمودة، وأخرى مذمومة، ولهذا فقد يكون المسلم أحيانا – مع ما هو عليه من شرف الانتساب إلى الإسلام – مضيعا لبعض الأخلاق الحميدة، أو مرتكبا لبعض مساوئ الأخلاق.

٦ – الخلط في فهم طبيعة علاقة المسلم بغيره، وفهمه بعض المصطلحات الإسلامية:

وربما كان مناسبا التنبيه هنا إلى أن المعاملة الحسنة، التي يدعو إليها الإسلام في التعامل مع الناس جميعا، بما فيهم غير المسلمين، ليس من لازمه الغفلة، وعدم الحيطة والحذر، سواء أكان تعاملك مع المسلم أو مع غير المسلم، أو مع غير المسلمين، بل إن من الواجب على المسلم، وعلى المسلمين، الحيطة والحذر، دون الخروج عن أسس دينهم في التعامل مع الآخرين، ولاسيما أن الواقع يثبت أنواعا من الخدع في هذا العصر، ولاسيما فيما بين الدول، فحسن المعاملة والخلق لا يعني الغفلة، وعدم اجتناب المخاطر على كل حال، وهذا أمر لا يتنافى مع مكارم الأخلاق، بل هو أمر مطلوب في حق المسلمين وغير المسلمين جميعا.

ومن المناسب، أيضا، التنبيه هنا إلى ما يقع فيه بعض المسلمين في تعاملهم مع غير المسلم، من عدم التفريق بين مقام: الحكم والإيمان، وبين مقام، التعامل عامة، ومقام الحوار، والتواصل، والدعوة، وهذا خطأ فادح يضر بالإسلام والمسلمين، ويضر بغير المسلمين، الذين لا يدركون حقيقة هذا الأمر في الإسلام.

ومن تطبيقات هذا الخلط في الفهم: الخروج عن أخلاق الإسلام وسماحته في علاقة المسلم بغير المسلم، وذلك – كما قلت – بسبب عدم الوضوح لدى بعض المسلمين، وعدم تفريقهم بين مقام: الحكم والإيمان، ومقام: العلاقة والتعامل، والحوار، والدعوة.

وليس هناك علاقة بين الاستمساك ببعض المصطلحات، والزج بها في كل مقام، وبين مقام العلاقة والتعامل الحسن الذي دعا إليه الإسلام، كمصطلح "كافر"، مثلا، فعلى الرغم من التسليم قطعا بحكم الله تعالى على الناس، وتقسيمه لهم إلى كافر ومسلم، إلا أنه ليس من لازم هذ التسليم أن نعامل الناس بهذا المصطلح، ولاسيما في باب التعامل والعلاقة بالناس، وليس هناك دليل شرعي يلزم المسلم بأن يعني بإطلاق

هذا المصطلح على غير المسلم، بل الأدلة قائمة على التأكيد على حسن المعاملة في موضعها المناسب، وعلى حسن الأسلوب، وعلى الدعوة بالحكمة وبالتي هي أحسن.

وكم يسيء إلى نفسه، وإلى الإسلام، من يضرب بعرض الحائط النصوص الشرعية الآمرة للمسلمين بدعوة غيرهم إلى الخير بأحسن الأساليب، والابتعاد عن الظلم، أيا كان، ونحو ذلك من التعاليم، فيرتكب مخالفة ذلك كله في سبيل أن يصم الناس بالكفر، ليشعر أنه هو المتبع المخلص، ولا عليه في التفكير بباقي تعاليم الإسلام بعد ذلك.

وليس ذلك المسلك من الفقه في شيء، وليس هو ما يريده الإسلام منا. إن الإسلام يريد منا نقل هذا الخير، وهذه الرسالة الخاتمة إلى شعوب الأرض كلها، بأسلوب العرض، لا بأسلوب الفرض، وبأسلوب التحبيب لا التبغيض.

وأحكام الله ثابتة لا تتغير، لكن هناك فرق – في حكم الله – بين:

- المسائل الاعتقادية.
- وطريقة العلاقة بالآخرين، والتواصل معهم، ومعاملتهم.

والواجب هو الأخذ بأحكام الإسلام كلها، هنا وهناك.

والمعوّل عليه في هذه القضية ليس هو اعتقاد الناس في بعضهم، وإنما منهجهم في معاملة بعضهم لبعض، وهل هو منهج مستقيم، أولا ؟

وما ورد من إطلاق الله تعالى للكفر على الكافرين إنما جاء في مقام بيان الأحكام، أو في سياق الإنكار لبعض انحرافاتهم أو ما حصل منهم من تجاوز، أو ظلم، أو تصرفات منكرة عليهم، مثل شتم بعضهم لله تعالى، أو ذمهم له تعالى، والله يفعل في خلقه ما يشاء، لا معقب له.

أما المسلم فليس مكلفا بأعلان الأحكام هذه على الناس، وما كلفه الله بذلك، وإنما كلفه بالدعوة بالحسنى، وبمعاملة الناس جميعا معاملة حسنة، ولم يجز له مخالفة هذا النهج.

ولهذا لم يكن في سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم معاملة المشركين والمخالفين له في الدين، أيا كانوا، معاملة سيئة، وإنما كان يعاملهم بأخلاقه الفاضلة، ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يوما لغير مسلم: تعال يا كافر، بل كان يستقبلهم أحسن استقبال، ويناديهم، أحيانا، ليس بأسمائهم، وإنما بكنيتهم،

بل وثبت – كما سبق ذكره – أنه زار الصبي اليهودي عند مرضه، مما دعاه إلى الإسلام نتيجة هذه المعاملة، وهو صلى الله عليه وسلم القدوة للمسلم.

ومن تطبيقات هذا الخلط في فهم بعض المسلمين لبعض المصطلحات في الإسلام: الموقف من "الجهاد في الإسلام"، وذلك تبعا لعدم وضوح مفهوم المصطلح لديهم، ووقوعهم ضحية لسوء فهم بعض غير المسلمين له، ولاسيما في هذا العصر، ولاسيما بعد التغيرات التي جرت إلى ما سمي بالحرب على الإرهاب.

فأصبح بعض المسلمين يتحاشى استعمال كلمة "الجهاد" ويود لو يعتذر منها، هذا إن لم يقدح في الجهاد، ويسيء القول فيه، وهذا المسلك اعتراف كاذب على الإسلام بأن الجهاد فيه مشكلة في حين أن المشكلة ليست في الجهاد في الإسلام، وإنما في فهم من فهمه أنه مشكلة، ووضعه في غير موضعه الشرعي، وعلى غير منهجه الشرعي، الذي من وظائفه:

- رد العدوان.
- دفع الظلم، ورفعه عن المظلومين.
- تأمين الحريات للناس كافة.

ولا يتصور أن يكون الجهاد في الإسلام ظلما، في حين أنه لرفع الظلم عن المظلومين، ولتأمين الحرية للناس جميعا.

كما لا يتصور أن ينتظر من أي أمة من الأمم، أن يكون الواجب عليها الاستسلام، وعدم الدفاع عن النفس.

كما أنه لا يتصور من أمة أو دولة أن لا يكون لها جيش.

ثم العبرة – بعد ذلك – بنظامها وأهدافها في القتال، أو الدفاع عن نفسها.

ولكن الميزة في الجهاد في الإسلام هي في منهجه وأحكامه وتعاليمه الفريدة في الحرب، التي يظهر فيها العدل والرحمة.

هذا ما أردت الإشارة إليه في طبيعة علاقة المسلم بغير المسلم، ومنهج الإسلام وطبيعة أخلاقه في هذا الباب.

والحمد لله رب العالمين.

❖❖❖

نقد المتون عند المحدثين

حسان بن أبو المكرم
السنة الثالثة للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

تعريف النقد:

يقال نقده ينقده نقدا إذا أبرزه، قال ابن الفارس: النون والقاف والدال أصل صحيح يدل على إبراز الشيء.

ومن الباب نقد الدراهم، وذلك أن ينكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك [١]، أنشد سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة
نفي الدراهم تنقاد الصياريف [٢]

وهذا ناقد وجمعه نقاد [٣]، ويقول صاحب اللسان: النقد والتنقاد تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها [٤].

وأما النقد عند المحدثين: فيمكن تعريفه بأنه "تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة والحكم على الرواة توثيقا وتجريحا". [٥]

أو "تمييز الأحاديث المقبولة من غيرها مع بيان علة ذلك". [٦]

تعريف المتن: (المتن) مأخوذ من المتن وهو ما صلب وارتفع من الأرض، كما في المصباح، لأن المسنِد يقويه بالسند ويرفعه إلى قائله، وهو ما ينتهي إليه السند من الكلام [٧].

أما أحوال المتن فهي ما يطرأ عليه من رفع أو وقف أو شذوذ أو صحة أو غير ذلك.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥ / ٤٦٧.
(٢) لسان العرب: ٣ / ٤٢٥.
(٣) المصباح المنير ص ٦٢٠.
(٤) منهج النقد عند المحدثين، ص ٥.
(٥) أيضا.
(٦) أشهر وجوه نقد المتن عند شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥.
(٧) تدريب الراوي ص ٥ – ٦.

وموضوع هذا العلم الذي يبحثه هو السند والمتن من حيث التوصل إلى معرفة المقبول من المردود. [١]

من هو المحدث:

وهو كما عرفه ابن سيد الناس: من اشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع رواة، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره وتمييز في ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه [٢] أي صار يقصد للإفادة في الحديث ورواته حتى اشتهر بذلك، وعرف خطه لكثرة ما يكتب في الأجوبة على أسئلة الناس.

وقال ابن الجزري: من تحمل الحديث رواية واعتنى به دراية. [٣]

نشأة النقد وتاريخه:

يقول الدكتور محمد مصطفى الأعظمي [٤] مبينا بأن "البحث والتنقيب في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ في حياته وكان الأمر لا يعدو في حينه سؤال النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، وهذا الاستفسار كان على نطاق ضيق جدا، إذ الصحابة ما كانوا يكذبون ولا يكذب بعضهم بعضا، بل كان غاية البحث في ذلك الوقت هو التدقيق، بل هو نوع من التوثيق للطمأنينة القلبية، ولهم في ذلك أسوة في سيرة أبي الأنبياء عليه السلام {وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} [٥] ولذا ما يعبر عنه بنقد المتن في اصطلاح المحدثين كان معروفا في عهد الصحابة رضوان الله عليهم كما ذكره الإمام مسلم في مقدمة صحيحه "أن ابن عباس رضي الله عنه دعا بقضاء علي فجعل يكتب منه أشياء ويمر بالشيء فيقول: والله ما قضى بهذا علي إلا أن يكون قد ضل". [٦] وليس هذا فحسب، بل قد وردت نصوص ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على أنه صلى الله عليه وسلم جرح وعدل بالمعنى العام، منها: ما روى كل من البخاري ومسلم ومالك بأسانيدهم إلى عروة ابن الزبير يقول: حدثتنا عائشة رضي الله عنها أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ائذنوا له فبئس رجل العشير أو بئس رجل العشيرة.

---

[١] منهج النقد عند المحدثين ص ٣٣.
[٢] تدريب الراوي ص ١١.
[٣] منهج النقد في علوم الحديث ص ٧٦.
[٤] منهج النقد عند المحدثين ص ٩.
[٥] سورة البقرة (٢٦٠).
[٦] مقدمة صحيح مسلم .

فلما دخل ألان له القول، قالت عائشة: يا رسول الله قلت الذي قلت، فلما دخل ألنت له القول، قال: يا عائشة "إن شر الناس منزلة يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس اتقاء فحشه" [١] وقد ذكر هذه الرواية الخطيب البغدادي بسنده إلى عروة بن الزبير للاستدلال على أن النبي صلى الله عليه وسلم جرح وعدل.

ضرورة النقد في الأحاديث النبوية:

ونقد المتن في الحديث النبوي الشريف يعد أسبق في الوجود من نقد السند، إذ كانت الحاجة في أول الأمر تدعوهم إلى نقد المتن دون السند، فكانت لهم مقاييس معينة في جانب النظر في المتن بينما لم يتعرضوا لنقد السند لقربهم من المصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن بينهم وبينه إسناد، وكانوا جميعا عدولا، ولعل مما يشهد بأنهم من حيث التاريخ نقدوا المتن أولا مثل كتاب الزركشي (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة رضي الله عنها على الصحابة) فيكاد كله في المتن وليس في السند.

ويقول الشيخ نور الدين عتر في كتابه: ونجد هذا الحرص يسري من الصحابة إلى التابعين فمن بعدهم، فقد كان التابعون لا يكتفون بما سمعوا من الصحابة في بلادهم، بل يرحلون إلى عاصمة العلم (المدينة المنورة) يسألون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، بل إن الصحابة أنفسهم كانوا يرحلون للقاء بعضهم واستماع الحديث من الراوي الأصل الذي شافهه النبي صلى الله عليه بالخبر، ومن هنا تقرر للناظر حقيقة لها أهميتها وهي أن الصحابة يرجع إليهم الفضل في بدء علم الرواية للحديث. [٢]

فلما لحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حدث عنه الصحابة بما وعته صدورهم الحافظة فردده الناس بغاية الحرص والعناية، فصار الحديث علما يروى وينقل، ووجد بذلك علم الحديث رواية، ثم وضع الصحابة للرواية قوانين تحقق ضبط العدل للحديث، وتكلموا في الرجال. [٣]

وعلى هذا كان لابد من نقد الأحاديث المضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم نقدا علميا دقيقا لمعرفة صحيحها من سقيمها لئلا يدخل في الإسلام ما ليس منه.

غاية هذا الفن:

(١) إن اعتناء المحدثين بنقد المتون لم يكن إلا للاطمينان إلى صحة ما نقلوه أكثر.

---

[١] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب (٦١٣١).

[٢] منهج النقد في علوم الحديث ص ٢٥.

[٣] أيضا ملخصا.

(٢) أنه بذلك تم حفظ الدين الإسلامي من التحريف والتبديل، ولذا نقل المحدثون الحديث النبوي بالأسانيد وميزوا الصحيح من السقيم، ولولا هذا الفن أو العلم لالتبس الحديث الصحيح بالضعيف والموضوع، ولاختلط كلام الرسول بكلام غيره.

(٣) إن هذا الفن يجنب العالم خطر الوعيد العظيم الذي يقع على من يتساهل في رواية الحديث لقوله صلى الله عليه وسلم: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" [١] وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتواتر "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار" [٢].

دواعي الاهتمام بنقد المتن:

ومن الأسباب التي دعت إلى الاهتمام بنقد الحديث:

١ – المشاكل التي أثيرت في المجتمعات الإسلامية من قبل بعض الذين دخلوا في الإسلام غير مخلصين، دخلوا فيه لأهداف ولكن بشاشته لم تخالط قلوبهم بل كانوا يتحينون الفرص للانقضاض على هذا الدين. [٣]

٢ – العلة في المتن توجب طعنا في الإسناد ولابد، حتى وإن كان ظاهر الإسناد السلامة من العلل، فإنه لابد أن يكون أخطأ فيه راو أو دلس، والنقاد يبينون ممن يكون الخطأ والوهم أو التدليس من رواة الإسناد الثقات. واعلم أنه لم يسلم من الوهم أوثق نقلة الحديث من مثل شعبةبن الحجاج وسفيان الثوري ومالك بن أنس، وهؤلاء رؤوس الحفاظ. [٤]

٣ – واهتم المحدثون بهذا الشان حفظا لجناب الشريعة وصونا لها من الدخيل أو الوهم والغلط، فهم يريدون أن تروى الأحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم كما قالها، لا ينقص ولا يزاد فيها حرف. [٥]

شروط ناقد المتون:

ومن أحسن ما وقفت على شروط ناقد المتون هو قول الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه معرفة السنن والآثار: "وهذا النوع من معرفة صحيح الحديث من سقيمه، لا

---

[١] رواه مسلم في مقدمته.

[٢] رواه مسلم (٣).

[٣] اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ص ٤٧.

[٤] تحرير علوم الحديث ص ٦٤٢.

[٥] نقد المتون عند المحدثين ملخصا.

يعرف بعدالة الرواة وجرحهم، وإنما يعرف بكثرة السماع ومجالسة أهل العلم بالحديث ومذاكرتهم والنظر في كتبهم والوقوف على رواياتهم حتى إذا شذ منها حديث عرفه"[١] أي أراد بهذا القول خمسة شروط: (١) كثرة السماع (٢) مجالسة أهل العلم (٣) مذاكرتهم (٤) النظر في كتبهم (٥) الوقوف على رواياتهم، ولا يقتصر على هذا، بل هناك شروط أخرى لكن هذه الشروط هي الأهم والأصل.

أمثلة على النقد عند المحدثين:

إن هذا العلم أخذ جهودا عظيمة متتابعة حتى تكامل، وذلك بأن التابعين أخذوا علم الصحابة ثم أضافوا عليه ما اجتمع لديهم نتيجة لخبرتهم الشخصية وتجدد الأحوال ووجود الكذب والكذابين، وسنذكر أمثلة على النقد عند المحدثين، منها: ما روى الحسن عن أنس بن مالك أنه قال: "ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله سمعناه، ولكن حدثنا أصحابنا ونحن قوم لا يكذب بعضهم بعضا." [٢]

ولما نقل لعروة بن الزبير (٩٤هـ) حديث "الصخرة عرش الله الأدنى" أنكر ذلك وقال: سبحان الله! يقول الله {وسع كرسيه السماوات والأرض} [٣] وتكون الصخرة عرشه الأدنى[٤]. مما يعلم بذلك استخدامهم لنقد المتن عند الحكم على الحديث.

وقد استخدم بعض المحدثين هذه الطريقة في نقد الأخبار دون النظر إلى أسانيدها كالخطيب البغدادي، فإنه أبطل الكتاب الذي ادعى فيه اليهود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسقط الجزية عن يهود خيبر لأن فيه شهادة بعض الصحابة ممن لم يحضر خيبرا أو مات قبلها. [٥]

حتى إنه بهذه الطريقة لم يسلم بعض ألفاظ الصحيحين من نقد المحدثين ومن ذلك حديث الإسراء في بعض ألفاظه "ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ...." وهذا يخالف المعروف عند المسلمين جميعا أن الإسراء كان بعد البعثة، لذلك غلط المحدثون الراوي في هذا اللفظ، ولا يعني ذلك ضعف الحديث كله أو أن في الصحيحين أحاديث

---

[١] معرفة السنن والآثار ج ١ ص ٥٥ – ٥٦.
[٢] الكفاية ص ٣٨٦.
[٣] سورة البقرة (٢٥٥).
[٤] المنار المنيف ص ٨٦.
[٥] انظر سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢٨٠).

ضعيفة، ولكن في الجملة لا يسلم من النقد لفظة أو لفظتين من مجموع الأحاديث كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

منهج النقد:

ومن المعلوم الذي يجب القول به أن منهج النقد للمتون كان استخدامه من قبل المحدثين قليلا بالنسبة لاستخدامهم لنقد الأسانيد والحكم على الرجال. فقد أخرج الإمام مسلم رحمه الله في مقدمة صحيحه أيضا عن محمد بن سيرين أن قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم". [١]

ويقول الربيع بن الخثيم رحمه الله (٦١ هـ): "إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به، وإن من الحديثا حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها". [٢]

ويقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "ما أحسن قول القائل كل حديث رأيته تخالفه العقول، وتناقضه الأصول وتباينه النقول فاعلم أنه موضوع".

وقد ذكر الدكتور محمد محمد أبو شهبة في كتابه ما نصه "لقد جعلوا من أمارات الموضوع ركاكة اللفظ بحيث يشهد الخبير بالعربية أن هذا لن يصدر من فصيح فضلا عن أفصح الفصحاء، وركاكة المعنى كأن يكون مشتملا على محال، واشتمال الحديث على مجازفات ومبالغات، لا تصدر من عاقل حكيم، والمخالفة للحس والمشاهدة، والمخالفة لصريح القرآن أو السنة المتواترة أو المسلمة أو الإجماع مع تعذر التأويل المقبول في كل ذلك، أو يتضمن الحديث أمرا مستحدثا لم يوجد في العهد النبوي إلى غير ذلك". [٣]

وعلى هذا جرى المبرزون من أئمة الحديث في معرفة علله كأحمد وابن المديني والبخاري ومسلم والرازيين رحمهم الله وغيرهم يحتجون بأفراد الثقات. [٤]

الفرق بين النقد عند المحدثين وعند المستشرقين:

خرج في هذا العصر ناس سموا بالمستشرقين وهم الذين يدرسون علوم الشرق (العرب والمسلمين) فقرءوا القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأرادوا أن

---

[١] مقدمة صحيح مسلم ص ٥٣.
[٢] معرفة علوم الحديث ص ٦٢.
[٣] دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين ص ٤٦.
[٤] تحرير علوم الحديث ص ٦٥٩.

يشككوا فيه، وفي نقلته طعنا منهم، وصدا عن سبيل الله، فجعلوا يوردون الشبهة في الأحاديث ويخالفونها بعقولهم.

والفرق بين ما يوردون وينقدون وبين ما يورده الأئمة من النقد أن نقد المستشرقين هو شبهة وظنون تحتاج إلى إجابة وإزالة وإشكال، وقد تكون معروفة عند المسلمين مسلما بها عندهم كالإيمان بالمعجزات والآيات على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أن الصحابة رضوان الله عليهم قد اعتنوا بالقرآن ودونوه ولكن كما قيل..

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا [1]

العصر الذي كثرت فيه المؤلفات في النقد:

لعل أكثر من اشتهر عنه ذلك من الصحابة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فإن الأخبار التي ردتها لنكارة متونها كثيرة لا تكاد تخفى على أحد، حتى إن الحافظ الزركشي رحمه الله جمع في ذلك كتابا حافلا أودعه عشرات الأمثلة، وسماه "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" اختصره السيوطي رحمه الله فيما بعد وزاد عليه، وممن نقل عنه نقد المتون أيضا عمر وابنه وابن عباس وعلي رضي الله عنهم كما ذكره صاحب مقاييس نقد السنة في صفحة ٦٢.

فلما كان عصر الذين جاءوا بعد هؤلاء كثرت المؤلفات، وعلى رأس هذه الطبقة يحيى بن معين (١٥٨ – ٢٣٢ هـ) وعلي بن المديني والإمام أحمد رحمهم الله. [2]

قال ابن رجب: والذي كان يكتب في زمن الصحابة والتابعين لم يكن تصنيفا مرتبا مبوبا إنما كان يكتب للحفظ والمراجعة فقط، وعلى هذا فلا معنى لما يشاع من قبل بعض المستشرقين واتباعهم أن المؤلفات في علم نقد الحديث تأخر ظهورها إلى أواخر القرن الثاني أو إلى القرن الثالث لأنه من الطبيعي أن يتأخر ظهور الكتب المرتبة المبوبة كأي علم آخر حتى تتجمع المواد الكافية لتأليف الكتب. [3]

وممن اهتم بهذه الطريقة وبينها بيانا شافيا، بل ووضع قواعد لمعرفة الوضع والوهم والغلط في متون الأحاديث الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (المنار المنيف).

---

[1] نقد المتون من المحدثين.
[2] اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ص ١٠٦.
[3] اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ص ٩٧ – ٩٨.

زبدة الكلام:

إن السنة في أهميتها وحاجة الناس إليها صنو القرآن، وإن كانت ليست مثله في التعبد والتلاوة، إلا أنها تبين القرآن فتفصل مجمله وتبين مبهمه، بل وتزيد عليه أحكاما شرعية كثيرة.

ونقد المتون قد تختلف فيه وجهات النظر لاسيما وهو مسلك وعر ومنعطف زلق، يحتاج عند استعماله إلى علم واسع وتيقظ تام، بخلاف الكلام في الرجال ونقد الأسانيد، وإن كانت في بعض حالات الأسانيد من ذلك الأمر كالعلل الخفية.

وهكذا توالت سلسلة الجهود العلمية متواترة متضافرة لحمل الحديث النبوي وتبليغه علما وعملا، فنا ودراسة وشرحا منذ عهده صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر، يستطيع أي إنسان في أي وقت أن يجد السبيل إلى معرفة الحديث الصحيح، وتمييزه عن غير الصحيح حتى وصل إلينا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم غضا طريا صافيا نقيا، وإنه حقا لمكرمة عظيمة أكرم الله بها هذه الأمة، بل هي معجزة تحقق صدق التنزيل {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} وتدل على جلالة هذا العلم أن أصل هذا العلم موروث من الصحابة والتابعين بل من الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت بالروايات الصحيحة روي بالأسانيد الصحيحة التي رجالها أئمة ثقات.

ويدور في سماء هذا العلم نجومها أئمة موثوقون، فلا يثوبه ريب ولا نقص.

وختاما: أسأل الله العلي القدير أن ينفعني وإياكم بهذا البحث وأن يجعله في موازين حسناتنا، إنه سميع الدعوات، ولا أنني أن أخصص كلمات من الدعاء إلى المحدثين العظام الذين بفضلهم ومنهم وصلت إلينا شريعتنا صافية نقية، فإنهم بذلوا كل الجهد، وتحملوا كل الكد، في سبيل نشر الحديث، وضحوا أنفسهم في مجال تحمل الحديث، وتمييزه بين الصحيح والضعيف. فرفع الله درجاتهم وزاد في حسناتهم ورفع منازل جناتهم، اللهم احفظ تلك الأصابع التي بذلت جهدها في جمع الأحاديث وتنقيحها من عذاب النار، اللهم احفظ ألسنا لا تزال رطبا من ذكرك، وتدارست هذا الفن المبارك، يا رب السماوات والأرض.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.

❖❖❖

وفيات

رحيل العالم الكبير
الشيخ عبد السلام الرحماني رحمه الله

رئيس التحرير

توفي في صباح يوم الأحد ٢٥ / صفر ١٤٣٥ هـ = ٢٩ / ديسمبر ٢٠١٣ م العام الرباني الكبير الشيخ عبد السلام الرحماني، أحد كبار علماء أهل الحديث في الهند، عن عمر يناهض ٧٧ عاما، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيما يلي موجز عن حياته وأعماله رحمه الله:

هو أبو عبد الله عبد السلام بن محمد عباس بن حبيب الله بن جمائي بن كريم بخش، ولد في جمادى الآخرة عام ١٣٥٧ هـ، الموافق أغسطس ١٩٣٨ م في قرية كندؤ بونديهار بمديرية بلرام فور (مديرية غونده سابقا) بولاية أترابراديش بشمال الهند.

والفقيد ينتمي إلى أسرة علمية معروفة، فقد كان عمه الشيخ عابد حسن الرحماني رحمه الله من كبار علماء أهل الحديث، الذي عمل في الجامعة السلفية بنارس مدرسا ومفتيا إلى فترة طويلة، ومن هذه الأسرة أيضا الشيخ عزيز الرحمن خان بهادر الأزهري رحمه الله. وكانت لهذه الأسرة علاقة طيبة مع المحدث الشيخ محمد عبدالرحمن المباركفوري رحمه الله مؤلف تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي. وهو الذي قام بتأسيس جامعة سراج العلوم في تلك المنطقة، وقضى مدة من الزمن في التدريس فيها رحمه الله. وقد اهتدى سكان هذه المنطقة بجهود الشيخ المباركفوري إلى اتباع الكتاب والسنة ونبذ الشرك والبدع والتقليد الأعمى.

درس في أول مرحلته في جامعة سراج العلوم نحو أربع سنوات، وكان عمه الشيخ عابد حسن الرحماني يدرس آنذاك في المدرسة الشهيرة المعروفة بـ "دار الحديث الرحمانية" بعاصمة الهند دهلي، فالتحق الشيخ عبد السلام أيضا بتلك المدرسة في السنة الأولى المتوسطة، وذلك في عام ١٩٤٧ م. لكن المدرسة أغلقت نهائيا إثر الحوادث الدامية عقب تحرير الهند من الاحتلال الانجليزي، في شهر أغسطس ١٩٤٧م. فرجع

الشيخ إلى مدرسته الأم سراج العلوم، وواصل دراسته فيها إلى الصف الثالث، وبعد ذلك التحق بالجامعة الرحمانية في بنارس، وأكمل دراسته فيها وتخرج عام ١٩٥٨م، ومن هنا اشتهر بنسبة "الرحماني". ومن أشهر أساتذته: الشيخ نذير أحمد الرحماني الأملوي، الشيخ إقبال أحمد الرحماني، الشيخ محمد خليل الرحماني، الشيخ عبد السلام طيب فوري، الشيخ عبد العزيز العمري المئوي، الشيخ فضل الرحمن العمري المئوي، الشيخ عبد الوحيد الرحماني البنارسي، الشيخ المقرئ أحمد سعيد البنارسي وغيرهم، رحمهم الله.

ثم انخرط الشيخ في سلك التدريس بعد إكمال دراسته بالرحمانية، فأول مدرسة قام بالتدريس فيها كانت بولاية مدهيه برديش، لكن لم يلبث فيها إلا نحو ثلاثة أشهر، ثم انتقل إلى المدرسة الإسلامية الواقعة في أكرهرا، وعمل فيها لسنتين، ومن عام ١٩٦٠ م إلى ١٩٦٣م درّس في جامعة سراج العلوم جهندانغر، نيبال.

كان الشيخ عبد السلام على علاقة مع الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، وكان بينهما مراسلات، وكان الشيخ يستشير به دائما في أمور عمله وتدريسه، وقد أشار عليه الشيخ المباركفوري بالذهاب إلى ممبائي للعمل في تحقيق كتاب تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي، والتعاون مع الشيخ عبد الصمد شرف الدين رحمه الله صاحب مكتبة "الدار القيمة" بهيوندي ممبائي. فكان الشيخ عبد السلام يساعد الشيخ عبد الصمد في تحقيق الكتاب وتصحيحه وطبعه، ويقوم بالتدريس لبعض الوقت في إحدى المدارس العصرية هناك أيضا، لمادة التاريخ والثقافة الدينية. كان ذلك في عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥م.

ثم تم تعيينه مدرسا بالجامعة الرحمانية ببنارس في عام ١٩٦٦م، وظل يعمل فيها حتى عام ١٩٧٢م، وفي هذه الفترة تتلمذ عليه كثير من الطلاب الذين تلألؤوا فيما بعد على أفق سماء العلم والبحث والتحقيق، منهم فضيلة الدكتور عبد العليم عبدالعظيم البستوي، وفضيلة الدكتور عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، وفضيلة الدكتور أختر جمال لقمان، وفضيلة الشيخ شاهد جنيد البنارسي، وفضيلة الشيخ عبد الله سعود البنارسي، وفضيلة الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد، وفضيلة الشيخ عبدالمعيد عبد الجليل، وفضيلة الدكتور صغير أحمد وغيرهم.

وفي سبتمبر عام ١٩٧٢م تم انتخابه مساعد الأمين العام لجمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند، وكان الشيخ عبد الحميد عبد الجبار رحمه الله انتخب أمينا عاما للجمعية. واستمر على هذا المنصب إلى يوليو ١٩٧٥م،. وكان نائب مدير تحرير جريدة ترجمان الصادرة من الجمعية أيضا، بعد ذلك انتخب أمينا عاما للجمعية ومدير تحرير جريدة ترجمان، وظل على هذا المنصب إلى يونيو ١٩٧٨م. وقد بذل جهودا مشكورة في التعريف بالجمعية وتوطيد صلة الناس بها، وقد سافر لذلك إلى مختلف مناطق الهند.

وفي عام ١٩٧٨م وبعد الاستقالة من الجمعية سافر إلى جزرفيجي، وأقام هناك نحو ثماني سنوات، يعمل في مجال الدعوة والإرشاد، وغادرها في مارس ١٩٨٥م، وعاد إلى موطنه، وفي العام نفسه انتخب مرة ثانية أمينا عاما لجمعية أهل الحديث المركزية، وظل على هذا المنصب إلى مارس ١٩٧٨م.

ثم تفرغ للتديس بجامعة سراج العلوم بونديهار في مسقط رأسه، وعيّن وكيل الجامعة أيضا، وبذل كافة الوقت والجهد للرقي بأنظمة التعليم والتربية في الجامعة، ولم يزل يخدم الجامعة بتدريسه وإشرافه حتى أقعده المرض قبل وفاته بسنوات.

كان رحمه الله عضوا للمجلس التنفيذي للجامعة السلفية، فكان يحضر في اجتماعات المجلس، ويزور الجامعة بين حين وآخر، ويشارك في مؤتمراتها وندواتها وبرامجها المتنوعة. وقد أصدرت إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة بعض مؤلفاته أيضا.

وكان عضوا لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند، فكان يشارك في اجتماعاتها وندواتها التي تعقد في مختلف مناطق الهند بالتناوب، وقد رأيته شارك في اجتماع الهيئة المنعقد بمدينة كولكاتا في عام ٢٠٠٨م بمساعدة أحد أبنائه، لأنه لم يكن يقدر على السفر لوحده لظروفه الصحية. وهناك منظمات وجامعات أخرى كان الشيخ يتمتع بعضويتها أو الإشراف عليها.

وإلى جانب أعمال الدعوة والتدريس كان يمارس – رحمه الله – عمل البحث والتأليف أيضا، وقد صدر بقلمه المؤلفات التالية باللغة الأردية:

١- اسلامی کہانیاں (٣/اجزاء)
٢- حسن بصری: حالات وملفوظات

٣- المنكرات فى العقائد والأعمال والعادات
٤- محرم الحرام اور مسئله حسين ويزيد
٥- ماه ربيع الأول اور حب رسول كے مظاہرے
٦- تزيين مساجد كى شرعى حيثيت
٧- خضاب كى شرعى حيثيت
٨- تزيين وتجمل كى شرعى حيثيت
٩- فريضه أمر بالمعروف ونہى عن المنكر
١٠- اتباع سنت كا مفهوم كتاب وسنت كى روشنى ميں
١١- ضعيف وموضوع روايات
١٢- گناه كبيره
١٣- سفرنامه

وكان يكتب المقالات والبحوث أيضا وكانت تنشر في مختلف المجلات والجرائد في داخل الهند وخارجها.

وكان رحمه الله يحتفظ بالرسائل التي كان يوجهها إليه الشيخ عبيدالله الرحماني رحمه الله مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ويبلغ عددها (١٥٤) رسالة، ولسبب أهميتها الدعوية والعلمية والتاريخية تم نشرها في صورة كتاب بعد حذف الرسائل الخاصة، ويبلغ عدد الرسائل المنشورة (١٢٠) رسالة، رتبها للنشر فضيلة الشيخ رفيق أحمد رئيس السلفي حفظه الله. وقد صدرت الطبعة الأولى منها في عام ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م من مكتبة فردوس بنيو دلهي في (٢٣٠) صفحة.

عاش رحمه الله حياة حافلة بالبذل والعطاء، وخدم العلم والدين والدعوة طيلة حياته، وخلف وراءه مؤلفات وكتابات وتلامذة، فهؤلاء التلامذة وتلك المؤلفات رثاؤنا بعد رحيله. وصدقة جارية له بإذن الله تعالى.

والله تعالى نسأل أن يغفر للفقيد، ويمطر عليه شآبيب رحمته، ويفسح له في قبره. ويدخله الفردوس، ويعوض عنه خيرا، ويلهم أسرته وجميع المصابين الصبر والسلوان.

❖❖❖

من أخبار الجامعة السفية

عقدت في الجامعة السلفية والمدارس التابعة لها اختبارات نصف السنة للعام الدراسي ٣٥ – ١٤٣٤ هـ = ١٤ – ٢٠١٣ م في الفترة: ١٢ – ٢٥ / صفر ١٤٣٥ هـ = ١٦ – ٢٩ / ديسمبر ٢٠١٣م تخللها إجازة يوم الجمعة، وذلك لمادة واحدة يوميا، وقد توقفت الدروس النظامية قبل الاختبار بأسبوع للمذاكرة والمراجعة. وقد عقدت الاختبارات التي معظمها تحريرية في خمس قاعات في الجامعة بما فيها المسجد، وتم توزيع الطلاب على خمس مجموعات بحسب سعة القاعات، كما تم توزيع المراقبين من المدرسين في خمس فرق، كل فرقة كانت مكونة من خمسة مدرسين.

يجدر بالذكر أن نحو ثلاث مائة طالب من طلاب المدارس التابعة للجامعة للسنة الثانية للثانوية أيضا شاركوا في الاختبار، ويبلغ عدد المدارس التابعة للجامعة (٢٧) مدرسة تقع في مختلف ولايات الهند ومناطقها.

وقد أعلنت إدارة الجامعة أن إجازة ما بعد الاختبار للمدرسين والموظفين تبدأ من يوم السبت، الثاني من شهر ربيع الأول ١٤٣٥ هـ = الرابع من شهر يناير ٢٠١٤م، وتستمر إلى يوم الاثنين، الحادي عشر من شهر ربيع الأول ١٤٣٥ هـ = الثالث عشر من شهر يناير ٢٠١٤م. وتبدأ الدراسة النظامية للفصل الدراسي الثاني من يوم الثلاثاء، الثاني عشر من شهر ربيع الأول ١٤٣٥ هـ = الرابع عشر من شهر يناير ٢٠١٤م. وقد خصصت أربعة أيام بعد نهاية الاختبار لإكمال تصحيح أوراق الاختبار وإعداد النتائج.

❖❖❖